إلى الأخ الكريم أبي عبد الملك
يحفظه الله

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية

تحقيق كتاب المصباح للسيد الشريف الجرجاني مع العرض والتحليل والنقد

رسالة دكتوراه

مقدمة إلى كلية اللغة العربية (جامعة الأزهر)
لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) في البلاغة والنقد

إعداد

فريد محمد بدوي النكلاوي

إشراف
الأستاذ الدكتور
كامل إمام الخولي

١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م

((بسم الله الرحمن الرحـــيم))

:: مقدمــة ::

الحمد لله رب العالمين ، وصلاة وسلاما على أشرف المرسلين ، سيدنا محمـد وعلى آله وصحبه ومن تمسك بهديه الى يوم الدين ،

عندما عزمت ــ بعون الله ــ على أن أشق طريقي في الدراسات العليا ، فـي مرحلة العالمية ، وقفت طويلا أمام الموضوعات التى دار بخلدى أن أسجل فيها الدراستها وفكرت كثيرا الى أن وفقنى الله ــ سبحانه وتعالى ــ لأن أتجه بدراستى هذه الـى مجال لم يتطرق اليه الذ ءن من قبل في قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية ، ذلك المجال هو محاولة تحقيق بعض الكتب المخطوطة في البلاغة العربية والنقد ،

وذلك لأننى رأيت أن الاتجاه نحو التحقيق والدراسة للمخطوطات أمر لا يخلـو ــ في المقام الأول ــ من فائدة علمية عظمى لدارسى البلاغة العربية والنقد ،حيث سيجد الدارس للبلاغة كتابا جديدا محققا بين يديه ، بعد أن كان في طى النسيــان لا يمكن الاطلاع عليه الا بشق الأنفس ،

وبالبحث في المخطوطات العربية استوقفنى كتاب المصباح للسيد الشريف (على ابن محمد بن على الحسينى) الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، وهو شرح للقسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكى ،

وذلك لأن مؤلفه ــ مع أنه ممن كتب في البلاغة العربية ــ الا أن أحدا لم يهتـم بدراسته دراسة مستفيضة تبين لنا مدى ثبات قدمه في هذا المضمار ــ خاصة ــ مـا اشتهر عنه من مناوأته للسعد التفتازانى ، معاصره وغلبته عليه ، مع اشتهار التفتازانى بالعلم والذكـــاء ،

ومن ثم كان اختيارى لتحقيق كتاب المصباح للشريف الجرجانى ، مستهدفا بذلك ابراز شخصية السيد الشريف الجرجانى كمؤلف في البلاغة العربية ، متناولا لحياتـه وشيوخه وتلامذته ، وموضحا لمنهجه ، وملقيا الضوء على آثاره العلمية ومنزلته بين العلماء

وأثره فيمن بعده ، مع التعرض بايجاز للعلاقة بينه وبين سعد الدين التفتازاني ، لتكون شخصية الشريف الجرجاني واضحة أمام الدارس للبلاغة العربية بكل جوانبها ٠

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان الكتاب الذى تناولته بالتحقيق والدراسة — كما نعلم — شرح للقسم الثالث من مفتاح العلوم للعلامة السكاكى (يوسف بن أبى بكر بن محمد) المتوفى سنة ٦٢٦ هـ ، ومعلوم أن هذا القسم من الكتاب قد تناوله الكثيرون من العلماء بالشرح تارة وبالتلخيص تارة أخرى ، كما أنه قد أحدث دويا هائلا وفتح مجالا واسعا للتأليف فى البلاغة العربية ، حيث رأينا عشرات الحواشى على شروحه والمختصرات الكثيرة العدد، ثم شرح هذه المختصرات مرة شرحا طويلا وأخرى شرحا قصيرا ٠

وفى وسط هذا العدد الضخم من الشروح والمختصرات وغيرها أردت أن ألقى الضوء على شرح الشريف الجرجانى ، لنقف على قيمة شرحه العلمية ومنزلته بين الشروح الأخرى ، ومدى أخذه أو تأثره بمن سبقه ممن شرحوا الكتاب ٠

هذا ما أردت أن أقوم بعمله وما هدفت اليه من وراء تحقيق شرح الشريف الجرجانى ودراسته ، وقد بذلت — والحمد لله — قصارى جهدى فى انجاز التحقيق والدراسة مستعينا فى ذلك بتوجيهات أساتذتى الأجلاء الذين لم يدخروا وسعا فى امحاض النصيحة والتوجيه ليخرج الكتاب المحقق — بعون الله — الى الدارس للبلاغة العربية بوجه مشرق وضاء ٠

ومجال التحقيق مجال واسع لا بد لمن يتعرض للخوض فيه من التسلح بالمعرفة والدقة والأمانة العلمية والصبر والأناة ٠

وكل ما أرجوه أن أكون قد وفقت فى تحقيق ما صبوت اليه ، وان كنت قد قصرت فى بعض الأمور التى تناولتها فى التحقيق أو الدراسة فهذه طبيعة البشر ولم يبلغ أحد حد الكمال المطلق لأن الكمال لله وحده ٠

ربنا عليك توكلنا واليك أنبنا واليك المصير ٠

والله أسأل أن يوفقنى لخدمة العلم وخدمة الأمة الاسلامية ٠٠٠

مقدم البحث
فريد محمد بدوى النكلاوى

((خطـــة البحـــث))

لقد تناولت كتاب المصباح بالتحقيق والدراسة ، وقد قسمت البحث الى قسمين :

القسم الأول :

تناولت فيه الدراسة ، وجعلته ثلاثة فصول :

الفصـــل الأول : يتناول كتاب مفتاح العلوم لأبى يعقوب يوسف بن أبى بكر بن محمد السكاكى المتوفى عام ٦٢٦ هـ ، ويشمل التعريف بالسكاكى وكتابه مفتاح العلوم ، مع التعرض للحديث عن شروح الكتاب ، خاصة الشروح التى تناولت القسم الثالث منه .

الفصل الثانى : وتحدثت فيه عن السيد الشريف الجرجانى من حيث عصره من الناحية السياسية والاجتماعية والعلمية ، وكذا نشأته ونسبه وشيوخه وتلامذته ، وآثاره العلمية ومؤلفاته ، ووفاته .

الفصل الثالث : يتناول التعريف بكتاب المصباح ، وتكلمت فيه عن سبب تسميته بالمصباح وسبب وضعه كما تكلمت عن منهجه ومكانة هذا الشرح بين شروح القسم الثالث من مفتاح العلوم ومكانته العلمية ، وتحدثت أيضا عن شخصية الشريف الجرجانى فى كتابه المصباح ومدى استقلاله أو تأثره بمن سبقه .

القسم الثانـــى :

تناولت فيه التحقيق والدراسة لكتاب المصباح ، ويشمل توثيق النص - تفسير المفردات العربية - دراسة الشواهد القرآنية والأحاديث النبوية ، وأبيات الشعر والأمثال - اسناد الآراء التى ذكرها الشارح الى أصحابها بقدر الامكان .

الخاتمـــة :

تتناول ذكر أهم النتائج التى ظهرت من خلال البحث .

هذا وبالله التوفيـق ...



((القسم الأول : الدراسة))

:: الفصل الأول : التعريف بالسكاكي وكتابه مفتاح العلوم ::

التعريف بالسكاكي :(1)

هو أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي ، كان علامة بارعا في العلوم وله فيها اليد الطولى ، وقد تبحر في النحو والتصريف والبيان والعروض والشعر ، وكان - رحمه الله - صاحب مشاركة تامة في كل العلوم ، كما أن له النصيب الوافر من علم الكلام وقد أخذ السكاكي عن سديد بن محمد الخياطي ، وعن محمود ابن عبيد الله بن صاعد المرزوي ، وقرأ الكلام على مختار بن محمود ومحمد بن عبد الكريم التركستاني ، وهم جميعا من فقهاء المذهب الحنفي ، ومن أساتذته أيضا شيخه الحاتمي الذي أشاد به كثيرا .

وقيل : ان السكاكي نسبة الى سكاكة ، وهي قرية بنيسابور أو بالعراق. لكن يضعف هذا الرأي قول أصحاب كتب التراجم : أن السكاكي ليس منسوبا اليها لأنه من أهل خوارزم ، ومن ثم يقال : ان السكاكي نسبة الى جده ، حيث يطلقون عليه ابن السكاك ، فكأن هذا نسبة الى صنعة السكة التي يضرب بها الدراهم " ولقد استطاع السكاكي أن يوجه البلاغة العربية توجيها جديدا فيه حصر لموضوعاتها وتحديد لمصطلحاتها ، وانقسمت على يديه الى علمين متميزين: هما علم المعاني وعلم البيان والذي تابع لهما ، هو المحسنات اللفظية والمعنوية " (2) .

ويقول الدكتور شوقي ضيف " وشهرته انما دوت بالقسم الثالث من الكتاب الخاص بعلمي المعاني والبيان ولواحقهما من الفصاحة والبلاغة والمحسنات ، فقد أعطى لهذا كله الصيغة النهائية التي عكف عليها العلماء من بعده يتدارسونها ويشرحونها مرارا اذ استطاع أن ينفذ من خلال الكتابات البلاغية قبله الى عمل ملخص دقيق

---

(1) انظر ترجمته في : مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٠٣ والفوائد البهية ص ٢٣٢ ، ومعجم الأدباء ج ٢٠ ص ٥٦ وشذرات الذهب ج ٥ ص ١٢٢ .

(2) القزويني وشروح التلخيص ص ١٨ .

لما نثره أصحابها من آراء ، وما استطاع أن يضيفه اليها من أفكار ، وصاغ ذلك كله صيغة مضبوطة محكمة ، استعان فيها بقدرته المنطقية فى التعليل والتسبيب ، وفى التجريد والتحديد والتعريف والتقسيم والتفريع ، وكان عمدته فى النهوض بذلك تلخيص الفخر الرازى وكتابى عبد القاهر ثم الكشاف للزمخشرى ، فانه استوعبه استيعابا دقيقا ...

ثم يقول : لقد كان أكثر تنظيما وأسد تقسيما مع ترتيب المقدمات واحكام المقاييس وصحة البراهين ، وبذلك استقام تلخيصه بحيث قلما نجد فيه عوجا أو انحرافا ، وانما نجد فيه الدقة والقدرة البارعة على التبويب والاحاطة الكاملة بالأقسام والفروع ، غير أن ذلك لم يشفع عنده بتحليلات عبد القاهر والزمخشرى ، فقد تحولت البلاغة فى تلخيصه الى علم بأدق المعانى لكلمة علم ، فهى قوانين وقواعد تخلو من كل ما يمتع النفس كقوانين النحو وقواعده " .(١)

وتذكر بعض كتب التراجم أن السكاكى كان عالما فى الفنون الغريبة والعلوم العجيبة ومن ذلك علم تسخير الجن ودعوة الكواكب وفن الطلسمات والسحر ، وعلم خواص الأرض وأجرام السماء وغيرها . وذكرت تلك الكتب روايات عن سحره وقدرته على الاتيان فى ذلك بالغرائب مما جعل السلطان جغتاى يخشى السكاكى ويجعله مقربا لديه وذا حظوة عنده حتى أنه كان يجلس بين يديه مؤدبا خائفا منه .(٢)

هذا ، ولم يبلغ كتاب من الشهرة وذيوع الصيت مثل ما بلغه كتاب مفتاح العلوم للسكاكى ولن يعرف فضل السكاكى وتبحره فى العلوم الا من قرأ مصنفه واطلع على سعة ادراكه وفضل ذكائه ونبله .

وقد مات ـ رحمه الله ـ بخوارزم فى أوائل شهر رجب سنة ست وعشرين وستمائة وكانت ولادته سنة خمس وخمسين وخمسمائة .

* * *

---

(١) البلاغة تطور وتاريخ ص ٢٨٨ .
(٢) الفوائد البهية ص ٢٣٢ .

التعريف بكتاب مفتاح العلوم :

وضع السكاكي هذا الكتاب وضمنه أنواعا كثيرة من علوم العربية وأسماه مفتاح العلوم وقد تضمن الكتاب ثلاثة أقسام رئيسية هي :

القسم الأول في علم الصرف ، والقسم الثاني في علم النحو ، والقسم الثالث في علمي المعاني والبيان ، وقد فرع السكاكي على هذه الأقسام الثلاثة فروعا أخرى ولواحق لها، ويتضح لنا هذا من كلام السكاكي في مقدمة كتابه ، اذ يقول : " وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب - دون نوع اللغة - ما رأيته لا بد منه ، وهي عدة أنواع متآخذة : علم الصرف بتمامه ، وانه لا يتم الا بعلم الاشتقاق المتنوع الى أنواعه الثلاثة ، وقد كشفت عنها القناع ، وأوردت علم النحو بتمامه ، وتمامه بعلمي المعاني والبيان ، ولقد قضيت بتوفيق الله منهما الوطر ، ولما كان تمام علم المعاني بعلمي الحد والاستدلال لم أر بدا من التسمح بهما ، وحين كان التدرب في علمي المعاني والبيان موقوفا على ممارسة باب النظم وباب النثر ورأيت صاحب النظم يفتقر الى علمي العروض والقوافي ثنيت عنان القلم الى ايرادهما ...

ويضيف السكاكي قائلا : وما ضمنت جميع ذلك كتابي هذا الا بعد ما ميزت البعض عن البعض التمييز المناسب ، ولخصت الكلام على حسب مقتضى المقام هنالك ، ومهدت لكل ذلك أصولا لائقة وأوردت حججا مناسبة ، وقررت ما صادفت من آراء السلف بقدر ما احتملت من التقرير ، مع الارشاد الى ضروب مباحث قلت عناية السلف بها ، وايراد لطائف مفتنة ما فتق أحد بها رتق أذن " . (١)

ومما سبق يعلم ما تضمنه الكتاب من العلوم ، وكذا يعرف منهجه الذي سار عليه في وضع كتابه ، ثم نجد السكاكي بعد ذلك يشحذ عزيمة من يريد الاطلاع على كتابه ويستنهض همته ، طالبا منه ألا يقرب الكتاب الا ومعه السلاح الكامل من قوة الذكاء والفطنة وتمام الاستعداد والتأمل حيث يقول : " لكنك اذا اطلعت على ما نحن

---

(١) مقدمة مفتاح العلوم ص ٢ .

مستودعوه كتابنا هذا ، مشيرين فيه الى ما تجب الاشارة اليه — ولن يتم لك ذلك الا بعد أن تركب له من التأمل كل صعب و ذلول — علمت اذ ذاك أن صوغ الحديث ليس الا من عين التحقيق وجوهر السداد " (١)

سبب وضع كتاب المفتاح :

يحدثنا السكاكي بنفسه عن سبب تصنيفه اذ يقول : " ولما كان حال نوعنا هذا ما سمعت ورأيت أذكياء أهل زماني الفاضلين الكاملي الفضل ، قد طال الحاحهم على في أن أصنف لهم مختصرا يحظيهم بأوفر حظ منه ، وأن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كل ذكي صنفت هذا وضمنت لمن أتقنه أن ينفتح عليه جميع المطالب العلمية وسميته مفتاح العلوم " (٢)

ومما سبق يتضح أن سبب وضعه كان رغبة من علماء أهل زمانه ، بل أذكيائهم وكأنهم قد رأوا أنه لا أحد يستطيع أن يصنف مختصرا كهذا محتويا على علوم شتى الا هو ، ولا بد أنهم قد لمسوا فيه قوة ذكاء تفوق قوتهم في ميادين العلم والمعرفة ٠

وأيضا يتضح أن سبب تسميته مفتاح العلوم أن مؤلفه قد ضمن لمن يتقنه ويتفهم مسائله فهما دقيقا ، ويلم بما احتواه الماما تاما ، ضمن له أن ينفتح عليه جميع مطالب العلوم ومسائلها ، فكأن هذا الكتاب بمثابة مفتاح بيد كل طالب للعلم ، فما من باب من أبواب العلوم يريد طالب العلم أن يلجه ومعه هذا المفتاح الا تيسر له الدخول وتحصيل ما يريد من معارف شتى ٠

هذا وقد أعجب الكثيرون من علماء العربية بهذا الكتاب ومدحوه وأثنوا عليه ، فقد رأينا قطب الدين الشيرازي يقول عنه : " هو انشاء فاخر وكتاب باهر وتصنيف معجز ، ثم يقول : ولله در القائل فيه :

سراج المعالي يوسف بن محمد * بمفتاحه قد حل كل معقد
وأعجز بالايجاز في سحر لفظه * فكاد به يسبي النهى وكأن قد

---

(١) مقدمة مفتاح العلوم ص ٢ ، ٣ ٠
(٢) مقدمة مفتاح العلوم ص ٣ ٠

فلم ير في كتب الأوائـــل مثلـه * وان لـم تصدتني بـه تتفقـد (١)

شروح مفتاح العلوم وأصحابها :

يقول صاحب كشف الظنون " وقد اعتنى عليه الفضلاء والعلماء بالتشريح والتلخيص وأما من شرح القسم الثالث منه فكثير ، أما أجودها فثلاثة ، شرح العلامة قطب الدين الشيرازى ، وشرح سعد الدين التفتازانى ، وشرح السيد الشريف الجرجانى " (٢)

ونرى أنه لم تكثر الشروح والحواشي والتلخيصات لكتاب من الكتب مثل كثرتها لكتاب مفتاح العلوم ، ويعلل الدكتور شوقي ضيف سبب كثرة الشروح التى تناولت القســم الثالث بشدة ما فيه من الغموض والفلسفة والمنطق ، اذ يقول : " وعو تلخيص أشاع فيه السكاكى كثيرا من العسر والالتواء بسبب ما عمد اليه من وضع الحدود والأقســام المتشعبة ، فاذا المباحث البلاغية تشبه غابة ، بل دغلا ملتفا لا يمكن سلوكـه الا بمصابيح من المنطق ومباحث المتكلمين والفلاسفة ، وهي مصابيح ما تنفى ترســل اشعاعات تخنق خلايا النضرة فى الدغل الكثيف ، وكثيرا ما تتراكم هذه الاشعاعـات تراكما يحجب عنا تلك الخلايا الحية التى كنا نتمتع برؤيتها عند عبد القاهر والزمخشرى وقد سوى القواعد تسوية منطقية عويصة حتى ليصبح المنطق والفلسفة جزءا منها لايتجزأ وحتى ليحتاج كتابه فى هذا القسم الى الشرح تلو الشرح ، وتتوالى الشروح وكــل شارح يضيف من أصباغ المنطق والفلسفة ، وعلم الكلام ما تمده به ثقافته ، وكان ذلـك كله ايذانا بتحجر البلاغة وجمودها جمودا شديدا ، اذ ترسبت فى قواعد وقوالب جافة وغدا من العسير أن تعود اليها حيويتها ونضرتها القديمة " (٣) .

والشروح التى تناولت مفتاح العلوم بالكامل هى :

١ ـ شرح المولى حسام الدين المؤذنى الخوارزمى ، وقد شرحه بالقول من أوله الى آخره ، وفرغ من اتمامه فى محرم سنة ٧٤٢ هـ بجرجانية خوارزم .

---

(١) كشف الظنون جـ ٢ ص ١٧٦٢ ومقدمة مفتاح المفتاح للشيرازى .
(٢) كشف الظنون جـ ٢ ص ١٧٦٣ .
(٣) البلاغة تطور وتاريخ ص ٣١٣ .

٢ - والمولى أحمد بن سليمان بن كمال باشا غير عبارة المفتاح وشرحه ، وسماه تغيير المفتاح ولم يكمله ، كما أن له شرحا آخر على المفتاح بقال ، أقول .

٣ - وشرحه أيضا المولى المحشى سنان الدين يوسف ، ولم يكمله حيث توفي سنة ٩٨٦ هـ وأكمله ابن أخيه محمد بن مصطفى ، الشهير بكتخدا ، (١)

هذا وقد كثرت الشروح التى تناولت القسم الثالث من مفتاح العلوم ، وهى :

١ - شرح العلامة قطب الدين محمود بن مسعود الشيرازى المتوفى سنة ٧١٠ هـ وهو شرح ممزوج ، وسماه مفتاح المفتاح .

٢ - شرح العلامة سعد الدين مسعود بن عمر التفتازانى المتوفى سنة ٧٩١ هـ ، وقد فرغ منه فى شوال سنة ٧٨٩ هـ .

٣ - شرح السيد الشريف على بن محمد الجرجانى المتوفى سنة ٨١٦ هـ ، وهو الموسوم بالمصباح ، ألفه السيد بسمرقند وفرغ منه بما وراء النهر أواسط شوال سنة ٨٠٣ هـ .

وتعتبر هذه الشروح الثلاثة أجود الشروح (٢)

٤ - وشرحه أيضا أحمد بن مصطفى " طاشكبرى زاده " المتوفى سنة ٩٦٢ هـ

٥ - وشرح القسم الثالث على بن محمد بن دهقان .

هذا وقد كتب فى احدى نسخ المصباح بأولها - وهى النسخة رقم ٦٤١٤ هـ بدار الكتب ترتيب لشراح المفتاح كالآتى :

١ - أول من شرح المفتاح شمس الدين المعزى .

٢ - ثم العلامة الشيرازى . ٣ - ثم الترمذى .

٤ - ثم نظام الدين النيسابورى . ٥ - ثم حسام الدين الكاتى .

٦ - ثم حسام الدين المرغى . ٧ - ثم عماد الدين الكاشي .

٨ - ثم سعد الدين . ٩ - ثم سيف الدين الأبهرى .

١٠ - ثم السلطان شاه . ١١ - ثم السيد الشريف .

١٢ - ثم شمس الدين الخلخالى . ١٣ - ثم الخطيب اليمنى .

---

(١) كشف الظنون جـ ٢ ص ١٧٦٣ ، ١٧٦٦ .

(٢) كشف الظنون . المجلد الثانى ص ١٧٦٣ .

هذا ، وعلى الشروح المذكورة آنفا حواش عديدة ومتنوعة ، رأيت عدم سردها خوفا من الاطالة ، وقد ذكرها صاحب كشف الظنون مع أصحابها " . (١)

أهم مختصرات مفتاح العلوم :

ومع كثرة الشروح وحواشيها كثرت أيضا المختصرات والتلخيصات لمفتاح العلوم ورأينا أن من لم يكن له نصيب من العلماء في شرح المفتاح كان له الحظ الأوفر في اختصاره، وسنتعرض لذكر أهم هذه المختصرات على النحو التالي :

١ ــ لقد اختصر المفتاح بدر الدين بن مالك المتوفى سنة ٦٨٦ هـ ، وسماه المصباح في اختصار المفتاح .

٢ ــ ونظمه أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الضرير ، ثم شرحه وسماه ضوء الصباح على ترجيز المصباح ، واختصر المصباح محمد بن يعقوب الحموي وسماه ضوء المصباح ثم شرحه في مجلدين وسماه أسفار الصباح عن ضوء المصباح .

٣ ــ واختصر القسم الثالث المولى حسن المعروف بالمعانيجي ، المتوفى سنة ٩٩٠ هـ ورتبه أحسن ترتيب .

٤ ــ وقد لخص القسم الثالث جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني ، خطيب دمشق المتوفى سنة ٧٣٩ هـ وسماه تلخيص المفتاح ، ثم شرحه في كتاب الايضاح ، وبعده توالت الشروح على هذا التلخيص ، ومن أهمها :

شرح محمد بن مظفر الخلخالي المتوفى سنة ٧٤٥ هـ ــ وشرح شمس الدين الزوزني المتوفى سنة ٧٩٢ هـ . وشرح العلامة التفتازاني المتوفى المتوفى سنة ٧٩١ هـ واشتهر شرحه هذا بالمطول ، ثم اختصره في كتاب آخر سماه بالمختصر ، وعلى المطول والمختصر حواشي وتقارير تبلغ الأربعين (٢) كما شرح التلخيص أيضا أكمل الدين البابرتي المتوفى سنة ٧٨٦ هـ وبهاء الدين السبكي المتوفى سنة ٧٧٣ هـ وقد بلغت شروح التلخيص أربعة عشر

---

(١) كشف الظنون . المجلد الثاني ص ١٧٦٤ ــ ١٧٦٦ .
(٢) أنظر القزويني وشروح التلخيص ص ١٧٥ ــ ١٧٦ .

شرحا ، كما بلغت مختصرات التلخيص ثمانية ومنظوماته سبع منظومات .(١)

٥ ـ واختصر القسم الثالث من مفتاح العلوم عضد الدين الأيجى المتوفى سنة ٧٥٦هـ وسماه الفوائد الغياثية .

٦ ـ واختصره الشيخ عبد المجيد بن نصوح بن اسرائيل ، وسماه مختصر المختصر.

تلك هي أهم الشروح والمختصرات التي حظى بها كتاب مفتاح العلوم ناهيك عن الحواشي الكثيرة التي سطرت على هذه الشروح والمختصرات ، بل هناك أيضا حواش وتعليقات جمة وضعت على تلك الحواشي ، الى جانب التقريرات العديدة ، والرسائل الكثيرة التي كتبت حول هذه الشروح والمختصرات والحواشي ، ومن ثم يتضح أن كتاب مفتاح العلوم للسكاكي قد حاز اعجاب الكثير من العلماء ، فلم يكد يظهر حتى تناولته أيدي العلماء بالشرح أو الاختصار أو النظم ، وقد فتح بذلك المجال لثروة علمية تتمثل في كثرة المؤلفات من حوله ـ وان كان معظم الحواشي عبارة عن مماحكات لفظية ، أو تفسيرات لغوية .

واعتقد أنه لولا فائدة كتاب المفتاح وعظمته لما التف حوله المؤلفون والعلماء حتى أنتجوا لنا هذا الجمع الضخم من الكتب التي شرحته أو اختصرته .

* * *

(١) انظر القزويني وشروح التلخيص ص ١٧٧ ـ ١٨١ .

((الفصل الثانـي))

:: الشريف الجرجاني علي بن محمد بن علي المتوفى سنة ٨١٦ هـ ::

عصر الشريف الجرجاني :

١ ـ الحالة السياسـية :

من الملاحظ أن الشريف قضى حياته الأولى في شيراز ثم رحل مع تيمور لنـــك بعد ذلك الى بلاد ما وراء النهر سنة ٧٨٩ هـ ، ومن ثم نرى أنه عاش حياته في مكانين خضع كل منهما لحكومة بعينها وظروف قد تختلف عن الأخرى ، ولذلك سنتحدث عـن الحالة السياسية لكل من الفترتين .

لقد آلت شيراز وغيرها من مدن تلك البقاع في الأونة التي ولد فيها الشريـــف الجرجاني الى بني المظفر اليزدي الذين تغلبوا على أصفهان وفارس بعد انقـــراض دولة هولاكو ، فقد اتصل أحمد المظفر بدولة هولاكو أيام ابن سعيد فولوه حفظ السابلة بفارس وبعد وفاة أبي سعيد سنة ٧٣٦ هـ اضطربت الدولة فغلب أزبك على طائفـــة من خراسان ، واستبد بهراة الملك حسين ، وألان محمود فرشحه علملا على أصفهان وفارس فاستبد بأمره واتخذ الكرسي بشيراز الى أن هلك ، ثم ولي بعده ابنه أبـــــو اسحاق أمير شيخ وكان مستبدا كأبيه ـ الا أنه كان صاحب آثار جميلة ـ حيث صنـف له الشيخ عضد الدين كتاب المواقف ، وصنف الشيخ عماد الدين الكاشي شرح كتـاب المفتاح وسموهما باسمه ، وأيضا تغلب محمد بن المظفر على كرمان ونواحيها وطمـــع في الاستيلاء على فارس فسار في جموعه الى شيراز فأعانه أهلها في التغلب علـــى أبي اسحاق أمير شيخ ، فملك البلد ثم استولى على أصبهان أيضا ، وأصبح محمـــد ابن مظفر هذا مستقلا بملك العراق كله فقام بنشر العدل بين ربوع مملكته ، وكـــان لمحمد بن المظفر أربعة أولاد وهم :

شاه ولـــي . وتوفي أيام أبيه ، ومحمود ، وشجاع وهو الذي اتصل به الشريـــف الجرجاني سنة سبعين وسبعمائة عن طريق سعد الدين التفتازاني ، وابنه الرابـــع

أحمد ، وقد ملك محمود أصبهان ، وأما شجاع فقد ملك شيراز وكرمان ويزد (١)
ثم نشب الخلاف بين كل من شاه شجاع وشاه محمود الذى اقتطع شيراز من أخيه شجاع
سنة ٧٦٥ هـ . فلحق شجاع بكرمان من أعماله وأقام بها مدة ثم رجع الى شيراز مـــرة
أخرى وانتصر على أخيه محمود الذى نر الى أصبهان وأقام بها الى أن هلك سنة ٧٧٦هـ
فاستضاف شجاع أصبهان الى أعماله وأقطعها لابنه زين العابدين وزوجه بابنة أويـــس
التى كانت تحت محمود ، واستولى شجاع أيضا على أذربيجان التى اقتطعها من أويس
ثم استولى زين العابدين بعد ذلك على معظم أملاك أبيه بعد وفاته واستقر عليها الى
أن خرج عليه تيمورلنك فقتله وقتل أقاربه كما سيأتى ، وقد مات شجاع سنة ٧٨٧هـ
فاستقل زين العابدين بأصبهان كما ذكرنا ، وخلفه فى شيراز وفارس منصور ابن أخيـــه
شاه ولـــى .

وقد أدى تفتت الدولة بين أبناء بنى المظفر الى خلافات فيما بينهم كثيرا ماتؤدى
الى اعلان الحرب على بعضهم البعض بقصد اقتطاع المدن ومحاولة التوسع ، ومن ذلك
الخلاف الذى وقع بين زين العابدين وابن أخيه منصور الذى هرب من شيراز فقبض عليه
عمه ففر من سجنه ولحق بأحمد بن أويس مستصرخا به ، فأنزله بتستر من أعماله الى أن
سار منها متجها الى شيراز لمحاربة عمه زين العابدين ولم يجد عمه بدا من الفـــرار
الى أصبهان وأخوه يحيى بيزده وعمهما أحمد بن محمد بن المظفر بكرمان ، ثم زحـــف
تيمور لنك بعد ذلك على أملاكهم سنة ٧٨٨ هـ .

وانتقل الشريف الجرجانى كما ذكرنا الى بلاد ما وراء النهر مع تيمور ولذلك لـــك
سنذكر ما يتصلق بتلك الفترة فى هذه البلاد وكيف استولى عليها تيمورلنك " . (٢)

تيمور لنـــك :

ولد عام ٧٣٦ هـ . فى قرية من قرى كش ، وكان أبوه ترغاى شيخا لقبيلة برلاس
وقد نشأه أبوه على التمسك بسنن الاسلام ، وأشرب فيه مشاعره السياسية التى كانـــت
تهدف الى تقويض أركان الدولة المغولية ، وكان تيمور شديد الاعتزاز بنفسه وبما بلغـــه

---

(١) تاريخ ابن خلدون جـ ٥ ص ٥٥٦ وشذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٩٧ .
(٢) تاريخ ابن خلدون جـ ٥ ص ٥٥٧ وشذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٩٧ .

من مهارة في الصيد وألعاب الفروسية ، الى جانب قراءته لكتب الحكمة وهو في سن الثامنة عشرة .(١)

وقد أعجب قزغان بتيمور فزوجه بحفيدته ، وقد اشترك تيمور في الحرب التي قامت ضد حسين كرت بخراسان(٢) ، وبعد ذلك ذهب تيمور الى الجغتائيين فرحبوا به وأقروه على ولاية كش ، ثم أخذ يستولي على بلدان ما وراء النهر الى أن صارت له ونودي به أميرا عليها في سنة ٧٧١ هـ . (٣)

ويذهب تيمور الى ناحية أخرى هي خوارزم فيزحف عليها سنة ٧٧٣ هـ وفي نفس الوقت جاءته رسل أمير هراة لتعلن له ولاءها وتقدم له الهدايا ، وبعد انتصاره في خوارزم يحمل معه الكنوز الطائلة ويأخذ معه كثيرا من مهرة الصناع وأرباب الحرف وعددا كبيرا من العلماء ، وقد شيد بخراسان قصرا كبيرا تذكارا لانتصاراته هذه . (٤)

ولم يقنع تيمور بذلك بل اتخذ من نفسه فاتحا للعالم ، وكان يبرر اعتداءاته بقوله : " اذا كان هناك ربا واحدا فحسب ، فكذلك يجب أن لا يكون هناك الا سلطان واحد ، ويقول : يجب على كل أمير أن يقتلع أرباب الفتن وذلك لصالح السلام والأمن العام وهذا ما دعاني الى فتح خراسان والى تخليص ممالك فارس والعراق والشام من الفوضى التي كانت تسودها " . (٥)

وفي عام ٧٨٢ هـ نجد تيمور قد وجه همه لفتح الأقاليم التي كانت تتكلم بالفارسية فيوجه جيشا لفتح خراسان فتسقط هراة في يده ثم تستسلم باقي المدن وهي كبوشان وطوس ونيسابور وكلها من مراكز العلوم والفنون المشهورة ، وهكذا استسلمت له بلاد الأفغان عام ٧٨٨ هـ (٦) فاتجه الى العراق وبلاد فارس الأصلية

---

(١) تاريخ بخارى ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٠٨ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٠٨ - ٢١٥ .
(٤) تاريخ بخارى ص ٢١٨ - ٢٢٠ .
(٥) المرجع السابق ص ٢٢٠ - ٢٢١ ، والمجددون في الاسلام ص ٢٦٨ .
(٦) تاريخ بخارى ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .

وكان يحكم مناطق ايران اذ ذاك أسرتان منفصلتان :

١ ـ فالأجزاء الجنوبية (فارس وأصفهان) كان يحكمها آل المظفر كما سبق .

٢ ـ وأما الايلخانيون فكانوا يسيطرون على العراق وأذربيجان .

وقد تجنب شاه شجاع أن يصطدم بجيش تيمور فاستسلم له من تلقاء نفسه ، وتزوج حفيد تيمور ابنة شاه شجاع ، أما السلطان أحمد بن الشيخ عويس فلم يرض بما ذهب اليه شاه شجاع فأقبل على الحرب وانهالت عليه الضربات ففر الى بغداد فعبر تيمور نهر أراكس فجثا تحت قدميه كل القوقاز الشرقى ، ودخل مدن نخجوان وأريوان وتفليس وشروان فاتحا ، واضطرت جيلان بدورها الى التسليم . (١) وكانت أسرة القرة تيونلو وأصفهان البلد الثائر هما وحدهما اللذان تعرضا لسخط الفاتح التى فى هذه الحملة ، فقد أهلك من أهل أصفهان سبعين ألفا لقتلهم ثلاثة آلاف من جنده غدرا ، وملأت هذه المذبحة نفس ابن الشاه شجاع بالرعب فظل على خضوعه لتيمور ، وكذلك قدم آل المظفر الى شيراز وأعلنوا خضوعهم لتيمور الذى عاد بعد ذلك الى سمرقند مظفرا سنة ٧٩١ هـ . فركن هناك الى الاستجمام والراحة واقامة الحفلات وعقد مجالس السمر والخروج للصيد .

وبعد ذلك يقوم بما يعرف بحرب السنوات الخمس فى الغرب ، وهى التى قصد بها القضاء على الاضطرابات القائمة هناك ، ولجنى فى الحقيقة ثمار كل حروبه السابقة باخضاع ايران والعراق اخضاعا تاما . (٢)

وهكذا استطاع تيمور أن يستولى على آسيا الشمالية والغربية بالتدريج ، وقدم الشعراء من كل حدب ليعلنوا له خضوعهم ويقدموا له الهدايا ، ثم عاد الى وطنه بعد خمس سنوات عام ٧٩٩هـ ـ ١٣٩٦م واستقبل استقبالا حافلا ونثر الذهب والجواهر بين يديه ، وأخذ يقيم الحفلات والمسرات فترة من الزمن ثم تعطش للدماء مرة أخرى فأخذ فى غزو الهند والصين وغيرها . (٣)

---

(١) المرجع السابق ص ٢٢٦ وتاريخ ابن خلدون جـ ٥ ص ٥٥٧ والنجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ٢٥٩ ، ٢٦٠ .

(٢) تاريخ بخارى ص ٢٢٧ .

(٣) المرجع السابق ٢٣٠ ، ٢٣١ والنجوم الزاهرة جـ ١٢ ص ٢٥٩ ـ ٢٦٠ والمنهل الصافى جـ ٢ قسم أول ص ١٧٣ .

ومما سبق يتضح أن العصر الذى عاش فيه الشريف الجرجانى، سواء فى الفترة الأولى أو الثانية، كان عصرا يتسم بالحروب والنزوات والاضطرابات والقلاقل التى كانت تثار دائما بين حكام تلك الأقاليم طمعا فى الاستيلاء على المدن من بعضهم البعض لتوسيع ملكهم ، ولم يخل اقليم من ذلك حتى بين أفراد الأسرة الواحدة كآل المظفر السابق ذكرهم والذى أدى بهم الى أن يهاجمهم تيمورلنك ويستولى على كل ما لكهم .

ولم يمنع عدم الاستقرار هذا من وجود العلماء فى شتى الميادين العلمية والفنون لأن كثيرا من حكام تلك الأقاليم كانوا — مع انشغالهم بالحروب والخلافات يشجعون العلماء ويغدقون عليهم الأموال، كأبى اسحاق، أمير شيخ وشاه شجاع ، وكذلك تيمور لنك وسوف نرى ذلك واضحا فى حديثنا عن الحياة الاجتماعية والعلمية .

* * *

٢ - الحالة الاجتماعية والعلمية فى عصر الشريف الجرجانى :

يتحدث صاحب شذرات الذهب عن شاه شجاع - الذى ذكرنا أن الجرجانى قد اتصل به سنة ٧٧٠ هـ . وفوض اليه التدريس فى دار الشفاء - فيقول " كان شاه شجاع ملكا عادلا عالما بفنون من العلم ، محبا للعلم والعلماء ، وكان يقرأ الكشاف والأصول والعربية وينظم الشعر بالعربى والفارسى ، ويكتب الخط الفائق ، مع سعة العلم والحلم والكرم " (١) ومن ثم يمكن القول بأن شاه شجاع مع اشتغاله بمحاربة اخوته وأبناء اخوته - الا إنه لم ينس العلم وحب العلماء ، بل كان يشارك بنفسه فى ذلك .

وتحدث الأستاذ عبد المتعال الصعيدى عن الحياة السياسية والاجتماعية فى القرن الثامن الهجرى فقال : " كان التتر فى هذا القرن لا يزالون يستولون على البلاد الاسلامية من العراق الى ما بعده من بلاد فارس والهند والترك ، ولكنهم كانوا قد دخلوا فى دين الاسلام وانفصلوا عن طاعة الخان الأعظم بالصين " . (٢)

وبعد أن يتحدث عن الحروب التى وقعت فى هذا القرن يقول : " هذا ما كان عليه المسلمون فى هذا القرن من الناحية السياسية ، وهو يدل على أنهم كانوا فيه محتفظين بشىء من القوة حتى أمكنهم أن ينسابوا فى أوربا من الشرق ويهددوا مدينة القسطنطينية ، وعن حالتهم العلمية يقول : ولكن حالهم من الناحية العلمية لم يكن بهذه المنزلة لأنهم ازدادوا فى هذا القرن بعدا من العلوم الفلسفية التى تنهض بهم فى دنياهم " ويعلل ذلك بانتشار الجهلة من المتصوفة والجامدين من رجال الدين وغلبتهم على العلماء .

ويذكر أن الملوك ورجال الدين كانوا يخضعون لمدعى التصوف ويبالغون فى تعظيمهم حتى غلب على طلاب العلم الاشتغال بالتصوف ، فاقتصروا على ما يناسب التصوف من الفقه والحديث ، واستمروا على نفورهم من العلوم التى لا غنى لهم عنها (٣)

---

(١) شذرات الذهب جـ ٦ ص ٢٩٧ .
(٢) المجددون فى الاسلام ص ٢٨٤ .
(٣) المجددون فى الاسلام ص ٢٨٧ - ٢٨٨ .

وأدى هذا الى اضعاف همم العلماء فى هذا القرن ففترت عزائمهم ، ولم تسر فيهم النزعة التى كانت تحملهم على الابتكار فى العلم وتفريهم على الوصول الى حقائق الأشياء ، وظهر فيهم الميل الى الاقتصار على معارف من سبقهم ، ولذا نرى أن أكبر همهم جمع هذه المعارف واختصارها وشرحها ، والاهتمام بحفظ المختصرات ليمكنهم استحضار مسائلها والبراعة فى فهم معانيها ، وكان جل همهم ان يتنافسوا فى وضع الشروح والحواشي عليها ، فضيعوا العلم الحقيقى . وصاروا الى قشور من العلم لا تفيدهم الا براعة فى حل معقدات المتون ، وهى براعة لا تسمن ولا تغنى من جوع ، ثم يقول : وكان علماء العجم أول من برع فى هذه الطريقة ، وكان من أعلمهم بها فى هذا العصر سعد الدين التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى ، وهما من علماء دولة تيمور فذاع صيتهما فى هذا القرن ببراعتهما فى هذه الطريقة ، ويضيف الأستاذ عبد المتعال قائلا : ان هذا سيكون له أسوأ الأثر فيما بعد ، لأن هذه الطريقة لم تشع فى هذا القرن كما شاعت فيما بعده ، وكانت تنتقل من بلاد العجم الى غيرها على يد علماء العجم الذين يفدون الى مصر وغيرها " . (١)

وعن القرن التاسع يقول : " ان الحالة السياسية والاجتماعية كانت سيئة كما هى ولم تكن حالة المسلمين العلمية فى هذا القرن بأحسن من حالتهم السياسية والاجتماعية وكان لكل دولة من الدول الاسلامية صبغتها العلمية وكانت الدولة التيمورية أقوى أثرا فى غيرها من هذه الناحية ، لأن علماءها كانو يجمعون بين المعقول والمنقول على طريقة السعد التفتازانى والشريف الجرجانى .

وكانت سمرقند مركز الحركة العلمية فى هذه الدولة ، فكان طلاب العلم فى الدولة العثمانية التركية يتجهون اليها فى تكميل ثقافتهم ، ومن ثم تأثرت الحركة العلمية فى الدولة العثمانية التركية بالحركة العلمية فى الدولة التيمورية الى حد كبير حتى ان كتب السعد والسيد الجرجانى وغيرهما هى التى كانت تدرس فى المدارس والمساجد بالدولة العثمانية التركية ، واستمر انتشار الاختصار والتلخيص

---

(١) المجددون فى الاسلام ص ٢٩٠ .

والشرح وحفظ المتون " (١) .

مما سبق يظهر بوضوح ان دولة تيمور لنك هي التي حازت قصبات السبق في مضمار التأليف والاختصار أو الشرح ، حتى أن بقية الدول الأخرى أخذ علماؤها ينهلون من ثقافة علماء هذه الدولة وينهجون نهجهم ، ومن ثم سوف نعرض لأهم مظاهر الحياة الاجتماعية والعلمية في دولة تيمورلنك على النحو التالي :

يحدثنا هارولد لامب عن الحياة في سمرقند فيقول : " لقد تسلمها تيمور بلدة صغيرة فأصبحت في سنوات قليلة درة البلاد الآسيوية وأجمل مدن الشرق وزينها بكل ما في البلاد من جمال وفن وحضارة ، وأسكن فيها العلماء والكتاب والفلاسفة وشيد فيها الدور العمومية والجامع والمعابد والمكاتب ،(٢)

والى جانب ما فيها من حدائق وقصور ، تجد هناك المساجد التي خصصت للصلاة والدراسة حيث يقوم فيها العلماء بالتدريس ، كما كان يجرى عادة ويشتد الجدل فيما بينهم فيتخاصمون ويتناقشون بشدة ، وكل يدافع عن رأيه ويدعى أنه الأفضل والأحق ، (٣)

كما نشطت المعارف والعلوم الدينية والفلسفية والأدبية التي أخذ يستمدها الترك من العرب بواسطة علمائهم ورجال دينهم ، وترك تيمور بعده أثرا عظيما في الحياة الاجتماعية وألوان الحياة من بعده ، لأنه كان يشجع الفنون ويعمل على تزيين القصور والمساجد ، كما جلب في فتوحاته كثيرا من الصناع والفنانين " . (٤)

أما صاحب تاريخ بخارى فيذكر :أنه - مع ما عرف عن تيمور من وحشية - فقد أمر جنوده وهم ينهبون أصفهان ألا يتعرضوا بسوء للحى الذى كان يسكنه العلماء والذى كان يشارك فلا سفة هراة وحلب محاوراتهم الشرعية ، ويبذل لهم العطاء الوفير وقد سعى تيمور لكسب ود شمس الدين الفنارى ومحمد الجزرى الى صفه وبالغ في

---

(١) المجددون في الاسلام ص ٣٢٢ .

(٢) كتاب تيمور لنك ص ١٠٤ . (٣) المرجع السابق ص ١٠٧ .

(٤) المرجع السابق ص ١٩١ .

استرضائهما برغم ما كان يحمله من شدة عدائهما له ، وقد حدث أن أمر بنقل مكتبة بأكملها من بروصة الى سمرقند على متون البغال .(١)

وبعد أن يستعرض صاحب تاريخ بخارى ما كان عليه بلاط تيمور من عظمة وأبهة وزينة يقول : " ومع هذا البذخ فى الاحتفالات لم ينس تيمور أن يخلد ذكرى كل نصر أحرزه وذلك باقامة المنشآت . لأنه لم يكن خلوا من الذوق الجمالى ، فقد أقام فى تبريز مسجدا ، وبنى قصرا فى شيراز ومدرسة ببغداد ومسجدا فى كش له ساحة خارجية يرتل فيها الشيوخ القرآن ، وجعل من كش قصبة آسيا الوسطى الثقافية وصارت تشتهر باسم قبة العلم والأدب ، وكان يجلب اليها العلماء من مدارس خوارزم المشهورة والأساتذة من بخارى ، ثم انتقلت العاصمة الى سمرقند فصارت قصبة تيمور(٢) ويرجع الفضل الى تيمور فى اشاعة الاهتمام الجدى بالحركة العقلية والعلمية بالبلاد فبرغم الحروب التى خاضها فقد شهدت بلاده قبل نهاية حكمه نهضة عقلية لا تنكر فى ميدانى الدين والعلم ، فكان فى بلاطه من الصوفية السيد على الهمدانى .

وقد ترك مؤلفات عديدة ، ومنهم خواجة بهاء الدين مؤسس الطريقة النقشبندية وهو الذى تتلمذ عليه السيد الشريف فى التصوف — ومن علمائه العلامة التفتازانى، كان بسمرقند ومات هناك عام ٧٩٤ هـ . وترك مؤلفات عدة ، وكان تيمور أيضا يشمل بعطفه وعنايته عددا ملحوظا من العلماء والشعراء من غير الترك ، فكل الذين حملهم معه من مختلف البلاد الأسيوية الى بلاد ما وراء النهر كانوا يعوضون بالكثير نظير هجرتهم التى أجبروا عليها . وذلك أمثال الجزرى ، وصارت لهم مناصب مرموقة فى البلاط .

أما العلماء المسلمون الذين قدموا من نيسابور ومرو وخوارزم وبغداد فقد بذلت لهم وظائف مجزية فى مدارس بخارى وسمرقند وكش ، ويتميز عهد تيمور باقامة المدارس الكثيرة واجراء الأرزاق عليها (٣)

---

(١) تاريخ بخارى ص ٢٤١ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٤٩ — ٢٥١ .
(٣) انظر تاريخ بخارى ص ٢٥٦ — ٢٥٧ .

مما تقدم نرى أن كتب التاريخ التي تحدثت عن هذه الفترة تجمع اجماعا تاما على النهضة العلمية وحركة التعليم والتدريس التي كثرت في عهد تيمورلنك فقد رأينا ما ذكروه من بناء المدارس في كل أنحاء دولته وكذلك المساجد التي اتخذ منها الى جانب العبادة دورا للتثقيف والتعليم ، ورأينا كيف حرص على أن يأخذ الى حاضرته كل العلماء الذين وجدهم في المدن والأقاليم التي كان يفتحها ، بل ويغدق عليهم الأموال والعطايا ، ومكنهم من وظائف مرموقة ومناصب كبرى في دولته .

هذا في بلاط تيمور ، أما عند آل المظفر — أي في الفترة الأولى من حياة السيد الشريف — فكانت الحركة العلمية فاترة باستثناء شاه شجاع الذي شجع العلم واغدق أيضا على العلماء وقربهم اليه .

هذا ، وسوف نرى جانبا من تكريم تيمور للعلماء عندما نتحدث عن الشريف الجرجاني وتيمورلنك باذن الله تعالى .

* * *

السيد الشريف الجرجاني : اسمه ونسبه : (١)

هو علي بن محمد بن علي السيد الزين الحسيني الجرجاني ، المعروف بالشريف الجرجاني ، ويكنى أبا الحسن ، الحنفي المذهب ، وهو من أولاد محمد ابن زيد الداعي ، بينه وبينه ثلاثة عشر أبا .

ويقول اللكنوي : " قد اتفقت كلمات الثقات على أن اسم الشريف علي فما وقع في عجائب المقدور في أخبار تيمور (٢) من أن اسمه محمد فهو خطأ " (٣) .

وما ذهب اليه اللكنوي هو الصواب ، لأن كل كتب التراجم لم تذكره الا باسم علي ، وذكر السخاوي في الضوء اللامع ، بعد أن ذكر اسمه قوله " قال لي ابن أبي السبطة حين أخذه عني بمكة سنة ست وثمانين أنه علي بن علي بن حسين،الا أنه قد استبعد هذه التسمية ، وقرر أن التسمية بالأولى أعرف .

مولـــده :

ولد علي بن محمد بن علي ، كما ذكر الزركلي في الأعلام وبروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية ، في قرية تاكو قرب أسترا باذ ، وهي بلدة مشهورة أخرجت خلقا من أهل العلم في كل فن ، وذلك عام أربعين وسبعمائة من الهجرة،وذكر غيرهما من أصحاب كتب التراجم أنه ولد في جرجان ، وهي مدينة مشهورة تقع بين طبرستان وخراسان ، وخرج منها كثير من الأدباء والعلماء ، وذلك في ثمان بقين من شعبان من شهور سنة أربعين وسبعمائة ، ومن ثم نرى أن اختلافا وقع في تعيين مكان ولادته وأغلب كتب التراجم تكاد تجمع على أنه ولد في جرجان ، وهذا يرجح أن المكان الذي ولد فيه هو مدينة جرجان .

---

(١) أنظر ترجمته في الفوائد البهية ص ١٢٥ والأعلام ج ٥ ص ١٥٩ وكتائب أعلام الأخيار الورقة ٤٣١ وتاريخ آداب اللغة العربية . جورجي زيدان ج ٣ص ٢٥٢،هدية العارفين ج ١ ص٧٢٨ ، مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٠٨ بغية الوعاة ص ٣٥١،عقد الجمان الورقة ٣٤٤ ، معجم المؤلفين ج ٧ ص ٢١٦ المنهل الصافي ج ٢ ص ١٩٩ ، البدر الطالع ص ٤٨٨ ، الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ ، دائرة المعارف الاسلامية بروكلمان ج ٦ ص ٣٣٣ .

(٢) انظر ص ٢٢٩ . (٣) التعليقات السنية ص ١٣٢ .

مذهبه وتصوفه وأخلاقه :

يقول اللكنوي في كتابه الفوائد البهية في تراجم الحنفية[1] " واعلم أنهم اتفقوا على كون السيد الشريف حنفيا ولم أر من ذكره من الشافعية " .

ويقول صاحب كتائب أعلام الأخبار [2] عن تصوفه " وله رسالة في الوجود على أصل الصوفية وقاعدة الأشرافية ، وكان قليل الرغبة في الدنيا ، كثير الهمة في العلم وقد أوتي بالمكيال الأوفى من الوجد والحال والورع والتقوى وأخذ التلقين وأدب الطريقة عن خواجه علاء الدين عطار وهو من أعز خلفاء خواجه بهاء الدين محمد نقشبند ، رئيس الطائفة النقشبندية ، وجمع بين علمي الشريعة والحقيقة ، وشرح أحسن الشروح أصل الطريقة ، وكان سيد عصره ولسان دهره " .

نشأته وبيئته :

نشأ السيد الشريف في جرجان بضم الجيم ، وهي مدينة جميلة يصفها ياقوت الحموي بقوله : " انها مدينة مشهورة عظيمة تقع بين طبرستان وخراسان ، وقد خرج منها خلق من الأدباء والعلماء والفقهاء والمحدثين ، وهي أقل ندى ومطرا من طبرستان وأهلها أحسن وقارا وأكثر مروءة ويسارا من كبرائهم ، ولجرجان مياه كثيرة وضياع عريضة ، يكثر فيها الفواكه والنخيل ، وأهلها يأخذون أنفسهم بالتأني والأخلاق المحمودة " .[3]

ومن هنا يظهر بجلاء أنه قد نشأ في بيئة غنية ، يسودها الرخاء ، والازدهار كما أنها بيئة يكثر فيها العلماء والأدباء ممن برعوا في شتى الفنون والعلوم ، ولا شك أن ذلك سيكون له أعظم الأثر في تنشئة عالمنا تنشئة علمية ، ولذا نراه قد صرف منذ الصغر تجاه العربية ووصل فيها الى أقصى مداه حتى قيل انه علق على الوافية في شرح الكافية ولم يفارق بعد حد الطفولة ، [4]

ثم ذهب بعد ذلك الى هراة[5] ليحضر مجلس العلامة قطب الدين محمد

---

(١) أنظر ص ١٣٤ .
(٢) أنظر الورقة ٤٣٢ والفوائد البهية ص ١٣٢ .
(٣) معجم البلدان ج ٢ ص ١١٩ - ١٢٢ .
(٤) أنظر كتائب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٣١ .
(٥) هي مدينة عظيمة من أمهات مدن خراسان .

ليقرأ عليه شرحيه للرسالة الشمسية والمطالع الأرموية ، الا أن قطب الدين أرسله الى تلميذه مبارك شاه المنطقي ليتعلم على يديه ، وكان السيد الشريف منذ طفولته شغوفا بالعلم ، كما كان متوقد الذكاء ، فطنا بارعا ٠

وبعد رحلاته المتعددة لطلب العلم توطن بشيراز ، وذلك أنه أراد سنة سبعين وسبعمائة أن يتشرف بملازمة شاه شجاع الدين مظفر الذى كان فى قصر زرد حينئذ ، وكان العلامة سعد الدين متصلا به فلبس السيد الشريف لباس أهل الحرب وقال لسعد الدين التفتازانى : انى رجل غريب ماهر فى الرمى أرجو أن تسعى فى حقى عند السلطان ليتيسر لى الملاقاة ، فركب السعد ومشى السيد معه حتى وصلا الى باب القصر ، فأوقفه السعد على الباب ودخل على السلطان وذكر له أوصافه فطلبه السلطان وقال له : أرنى كمالك فى الرمى فأخرج السيد جزءا فيه اعتراضات على المصنفين من نتائج طبعه وأعطاه السلطان وقال : هذه سهامى وهذه صنعتى ، فاطلع السلطان على مرتبته وعظمه واحترمه وذهب به معه الى شيراز [1] وفوض اليه تدريس دار الشفاء سنة ٧٧٩ هـ ٠

فأقام السيد هناك عشر سنين يفيد ويدرس ، ولما فتح الأمير تيمور شيراز سنة تسع وثمانين وسبعمائة ، أمر السيد أن يذهب الى سمرقند [2] ، فأقام هناك مدة الى أن مات تيمور سنة ٨٠٧ هـ فرجع السيد الى شيراز مرة ثانية وظل بها الى أن مات ٠ [3]

تنقلات السيد الشريف لطلب العلم :

اتجه السيد الشريف نحو دراسة اللغة العربية وبرع فيها منذ صباه ، ولم يسمع عن عالم من علماء العربية وفنونها المختلفة الا أسرع اليه قاصدا الأخذ عنه والارتشاف من رحيقه ، ولذا نراه فى بداية حياته متنقلا بين البلدان والأقطار لينمى موهبته ويشبع نهمه فى طلب العلم ، ومن ذلك ذهابه أول الأمر الى هراة ليأخذ عن قطب الدين

---

(١) هي مدينة مشهورة بايران ٠

(٢) بلد مشهور فى جمهورية أزبكستان من الاتحاد السوفيتي اليوم ٠

(٣) أنظر الفوائد البهية ص ١٣٤ وكتائب أعلام الأخيار ٠ الورقة ٤٣٢ والاعلام جـ ٥ ص ١٥٩ ودائرة المعارف الاسلامية لبروكلمان جـ ٦ ص ٣٣٣ ٠

الرازى ، ويلمس فيه قطب الدين هذا الذكاء المتوقد حيث رأى أن فكره يجول فى فن المنطق كضوء البارق المتألق ، وشاهد قطب الدين فى نفسه أن الضعف قد دب فى قواه وطيف المنية يلاحقه ، وقد أقعده المشيب عن درك المسائل فأرسل السيد الشريف الى مبارك شاه ، وكان تلميذا له ، وكان ماهرا فى الحكمة والمنطق ، وكان متوطنا فى مصر ، فتوجه اليه السيد ليأخذ عنه فى مصر وليقوم الى خدمته [(١)] ، ولكن نفس تلميذنا التواقة للأخذ عن أشهر العلماء لم تهدأ حينما سمع عن صيت الشيخ جمال الدين محمد الأقسرائى وشهرته فى العلوم فترك مبارك شاه فى مصر وارتحل الى بلاد قرامان حيث محمد الأقسرائى ليقرأ عليه ،وكانت الطلبة ترحل من أقطار الأرض اليه ، ويذكر المؤرخون أن السيد الشريف حينما رأى شرح الأقسرائى للايضاح فلم يعجبه وقال : هذا الكتاب كلحم بقر وعليه ذباب ، وذلك أن المولى جمال الدين كان يكتب المتن بتمامه ثم يعقبه بكلامه ، وكان يضرب على المتن بالمداد الأحمر ،فكان الشرح كالذباب على لحم البقر ، ولم يتمكن السيد من الأخذ عن الاقسرائى لأن المنية عاجلته عند دخول السيد البلد ، وان كان قرأ كتبه ودرسها وتعلم منها ،

وفى قرامان لقى السيد الشريف هناك المولى الفنارى ، وكان ذا باع واسع ولسان جارى ، فكانا صاحبى الحضر وراكبى السفر ، وكأنهما العقل والروح المصور وارتحل السيد مرة ثانية الى مصر مع الفنارى ليقرأ هذه المرة على أكمل الدين محمد ابن محمود البابرتى ، وكان شيخا متفقا عليه وتختلف الناس اليه مبرزا فى المعقول والمنقول ، فظفر السيد والفنارى بزيارة سدته ، واغتنما بمشاهدة غرته ، وقرأ عليه العلوم النقلية وأخذا عنه الفنون الشرعية ، وقرن الله مساعيهما بالنجاح وجعل صيتهما الطيار موفور الجناح ، وقد أقام السيد بمصر أربع سنين للأخذ عن أكمل الدين ثم رحل الى بلاد الروم ، [(٢)]

ويذكر السخاوى والشوكانى : " أن السيد اشتغل ببلاده ، وأخذ المفتاح عن شارحه النور الطاووسى ، وعنه أخذ الشرح المشار اليه وبعض الزهراوين من

---

(١) أنظر الفوائد البهية ص ١٢٥ وكتائب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٣١ ،
(٢) المرجع السابق ، الورقة ٤٣٢ والفوائد البهية ص ١٢٧ ، ١٣٢ ،

الكشاف مع الكشف للسراج عمر الهيمانى ، وكذا أخذ شرح المفتاح للقطب عن ولـــد مؤلفه مخلص الدين أبى الخير على ، وقدم القاهرة وأخذ بها عن أكمل الدين ، وأقام بسعيد السعداء أربع سنين ، ثم خرج الى بلاد الروم ، ثم لحق ببلاد العجم ورأس هنـــاك " ، (١)

شيوخ السيد الشريف وأساتذته :

رأينا فى تنقلات السيد ورحلاته لطلب العلم أنه اختلف الى عدد من العلماء فى تلك الأقطار التى سبق ذكرها ، وسنتحدث ههنا عن شيوخه على النحو التالى :

١ — قطب الدين التحتانى : (٢)

هو محمد بن محمد أبو عبد الله قطب الدين الرازى ، المعروف بالقطب التحتانى ، الشافعى الفقيه المتكلم ، ولد سنة تسع وأربعين وستمائه ،وتوفى سنة ست وستين وسبعمائة ، قال عنه ابن شهبة : " اشتغل فى بلاده بالعلوم العقلية فأتقنها وشارك فى العلوم الشرعية ، وجالس العضد وأخذ عنه ، ثـم قدم دمشق وأقام بها الى أن توفى " ومن مؤلفات قطب الدين : تحريـــر القواعد المنطقية فى شرح الشمسية — تحفة الأشراف فى حاشية الكشاف — شرح الكشاف الى سورة الأنبياء — لوامع الأسرار شرح مطالع الأنوار فى المنطق . شرح مفتاح العلوم للسكاكى ، وقد سبق بيان كيف اتصل السيد الشريف به .

٢ — مبارك شـــاه :(٣)

هو مبارك شاه المنطقى ، كان تلميذا لقطب الدين التحتانى ، رباه وعلمه وكان مبارك شاه ماهرا فى الحكمة والمنطق حتى اشتهر بين الناس بمبارك شاه المنطقى ، وكان موطنه فى مصر ، ورحل اليه السيد للأخذ عنه بتوجيه مـــن القطب التحتانى ، ويذكر الشوكانى ما حدث بين مبارك شاه والسيد الشـريف فيقـــول :

---

(١) أنظر الضوء اللامع للسخاوى جـ ٥ ص ٣٢٨ والبدر الطالع للشوكانى ص ٤٨٨ .
(٢) أنظر هدية العارفين جـ ٢ ص ١٦٣ والتعليقات السنية على الفوائد البهيـة ص ١٢٩ وكتائب أعلام الأخيار . الورقة ٤٣١ ،والضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ .
(٣) أنظر الفوائد البهية ص ١٢٦ — ١٢٧ .

" وصل اليه السيد وبعض أبناء الأكابر يقرأ عليه شرح الشمسية ، فطلب منه السيد أن يقرأ عليه فأذن له بالحضور بشرط ألا يتكلم ، فكان الشريف يحضر ساكتا ، وفي الليل يأوى الى خلوة في المسجد ويقرر ما سمعه من شرح الشمسية ويرفع صوته فيقول : قال المصنف كذا ـ يعني صاحب الشمسية ـ وقال الشارح كذا ـ يعني القطب ـ وقال الشيخ كذا ـ يعني الذى يقرأ عليه ـ وقلت أنا كذا ثم يقرر كلاما نفسيا ويعترض اعتراضات فائقة ، فصادف مرور الشيخ من باب خلوته فسمع صوته فطرب لذلك ثم أذن له أن يتكلم في الدرس بما شاء " . (١)

٣ ـ جمال الدين محمد بن محمد الأقسرائي : (٢)

هو محمد بن محمد بن محمد بن الامام فخر الدين محمد الرازى ـ رحمهم الله ـ وهو الأستاذ على الاطلاق ، والمشار اليه بلا شقاق ، أنفق أهل زمانه وكانت الطلبة ترحل اليه من كل مكان ، صاحب الفصاحة الفرد في علمي المعاني والبيان ،

ومن مصنفاته : حواشي على الكشاف ـ شرح الايضاح في المعاني ـ شرح الموجز في الطب وكان مدرسا في بلدة قرامان بالمدرسة المسلسلة ، واشترط بانيها أن لا يدرس فيها الا من حفظ الصحاح وشارك في العلوم ، فتعين لذلك جمال الدين ، وكانت طلبته ثلاث طبقات :

الأولى منهم يستفيدون منه في ركابه عند ذهابه الى الدرس وايابه وسماهم المشايين والأوسط منهم يسكنون في رواق المدرسة ، وسماهم الرواقيين ، والأعلى منهم يسكنون في داخل المدرسة وكان يدرس لهم بعد الرواقيين ، ومات جمال الدين سنة نيف وأربعين وسبعمائة ، ولكن صاحب هدية العارفين يذكر أن وفاته سنة ٧٧١ هـ وهذا التاريخ هو الأقرب الى الصواب حتى يمكن أن يتتلمذ عليه السيد كما ذكرت كتب التاريخ ، وقد مات جمال الدين في

---

(١) البدر الطالع ص ٤٨٨ ، وانظر الفوائد البهية ص ١٣٠ ، ١٣١ .
(٢) أنظر كتائب اعلام الأخيار ، الورقة ٤٢٠ ، ٤٣٢ والفوائد البهية ص ١٢٧ وهدية العارفين جـ ٢ ص ١٦٥ .

الوقت الذى وصل فيه السيد الى قراما ن ليتعلم على يديه ، ومن ثم فهو لم يأخذ عنه شخصيا ، بل قرأ كتبه ودرسها وانتقد تلك الكتب كما سبق ذكره ، فتلمذة السيد عليه كانت بالأخذ من كتبه والتعلم منها .

٤ ـ أكمل الدين محمد البابرتى :(١)

هو محمد بن محمود بن أحمد البابرتى ، الشيخ أكمل الدين ، الفقيه الحنفى ، ولد سنة ٧١٢ هـ وتوفى سنة ست وثمانين وسبعمائة ، أخذ عن أبى حيان ، والأصفهانى ، وكان الظاهر برقوق يجيء اليه وهو راكب وينتظره حتى يخرج فيركب معه ، وكان علامة فاضلا ، وافر العقل قوى النفس ، وقد عرض عليه القضاء مرارا فامتنع .

ومن تصانيفه : الارشاد فى شرح الفقه الأكبر لأبى حنيفه ـ الأنوار فى شرح المنار للنسفى ـ تفسير القرآن ـ شرح تلخيص المفتاح ـ شرح فرائض السراجية شرح ألفية ابن معطى فى النحو ـ المقصد فى الكلام ، وغير ذلك وقد رحل اليه السيد من قراما ن مع المولى الفنارى بعد موت جمال الدين ليقرأ عليه ، وكانت الطلاب تختلف اليه من كل صوب لكونه اماما فى الفروع والأصول وقد ظفر السيد والفنارى بالأخذ عنه حيث قرأ عليه العلوم النقلية ، وأخذا عنه الفنون الشرعية ، وقد أقام السيد بمصر أربع سنين للأخذ عنه ، ثم لحق ببلاد الروم ، بعد أن تزود منه خير زاد .

٥ ـ ومن شيوخه أيضا النور الطاووسى ، أخذ عنه شرح المفتاح .

٦ ـ والسراج عمر الهيمانى ، أخذ عنه بحث الزهراوين من الكشاف وكذا كشف الكشاف .

٧ ـ ومنهم مخلص الدين أبى الخير على ، أخذ عنه شرح المفتاح للقطب التحتانى (٢)

---

(١) انظر بغية الوعاة ص ١٠٣ وكتائب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٣٢ والفوائد البهية ص ١٢٧ ، ١٣٢ والبدر الطالع ص ٤٨٨ ، والضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ .

(٢) أنظر الضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ والبدر الطالع ص ٤٨٨ .

٨ — ومن شيوخ السيد الصوفيين خواجه علاء الدين عطار :(١)

هو محمد بن محمد البخارى،من كبار تلامذة خواجه(٢) نقشبند ، كان قبلة العارفين ، وقد أخذ عنه السيد الشريف التلقين وأدب الطريقة ، وجمع بذلك بين علمى الشريعة والحقيقة ، وكان الشريف يقول : " لم نعرف الحق سبحانه وتعالى كما ينبغى ما لم نصل الى خدمة العطار البخارى " وتوفى العطار سنة اثنتين وثمانمائة من الهجرة ،

***

شركاء السيد فى الدرس ومعاصروه :

لقد عاصر الشريف الجرجانى وشاركه فى الدرس والتحصيل عدد من العلماء المشهورين أثناء تلقيه العلم عن مشايخه فى مصر وغيرها من البلدان التى رحل اليها وجمعه ببعضهم أماكن معينة ، بل وتناقش وتناظر مع أحدهم وتنافس معه على الصدارة وسنتحدث بايجاز عن أبرز من عاصره أو شاركه فى درسه مهتدين بما ذكره المؤرخون وأصحاب كتب التراجم على النحو التالى :

١ — محمد بن حمزة الفنارى :(٣)

هو المولى الفاضل شمس الدين محمد بن حمزة بن محمد الفنارى ، امام كبير ، علامة فى العلوم النقلية أصولا وفروعا ، وفاق أقرانه فى الفنون العقلية كما شارك فى الفنون الأدبية والعربية ، وذو دراية بالعلوم الغريبة والرياضية وكان من تلاميذ صدر الدين القنوى ، ولد سنة احدى وخمسين وسبعمائة وأخذ أيضا عن علاء الدين الأسود ، كما أخذ عن جمال الدين الأقسرائى وسافر مع السيد الشريف الى مصر للأخذ عن الشيخ أكمل الدين ، وكانا معا صاحبى الخصر وراكبى السفر ، وكأنهما العقل والروح المصور ، ثم رجع الفنارى

---

(١) انظر : التعليقات السنية على الفوائد البهية ص ١٣٠ وكتائب أعلام الأخيار الورقة ٤٢٤ ،

(٢) هو محمد بن محمد بهاء الدين نقشبند ، واليه تنسب السلسلة النقشبندية ،

(٣) أنظر كتائب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٩١ ، ٤٣٢ والفوائد البهية ص ١٢٧ ،

الى الروم فولى قضاء بروسا ، وارتفع قدره عند السلطان بايزيد خان بن السلطان مراد خان، وكان ذا ثروة ومروءة ، ومن مصنفاته : فصول البدائع فى أصول الشرائع ، جمع فيه الكتب الأربعة من الأصول ، وهى مختصر ابن الحاجب ـ والمنار ، والسرودى والمحصول ، وشرح الفرائض السراجية ، وقد تأثر بالسيد الشريف حيث رأى شرحه للمواقف، وطالعه وعلق عليه تعليقات متضمنه لمؤاخذات لطيفة ، وكانت وفاته سنة أربع وثلاثين وثمانمائة .

٢ ـ المولى أحمدى :(١)

أصله من ولاية كرميان ، وكان من شركاء السيد والفنارى فى الدرس فى مصر، قرأ ببلاده ، ثم دخل القاهرة وقرأ هناك ، وحكى أنه حضر عند شيخ من مشايخ الصوفية ومعه المولى الفنارى والحاج باشا ، فنظر اليهم وقال للحاج باشا، ستضيع عمرك فى الطب ، ولأحمدى ستضيع عمرك فى الشعر وقال للفنارى ستصير عالما ربانيا فكان كما قال ، وبعد أن عاد لبلاده صاحب الأمير ابن كرميان وصار معلما له ثم صاحب مع الأمير سليمان بن السلطان بايزيد خان وتقرب عنده، وحصل له جاه عظيم وحشمة وافرة ، ونظم له كتابه المسمى باسكندنامه ، كما نظم كثيرا من القصائد والأشعار .

٣ ـ ابن قاضى سماوة :(٢)

هو الشيخ بدر الدين محمود بن اسرائيل بن عبد العزيز ، الشهير بابن قاضى سماوة(٣) ولد فى قلعة سماوه من بلاد الروم حين كان أبوه قاضيا بها ، وأخذ فى صباه عن والده وحفظ القرآن ، وقرأ بقونية بعضا من العلوم ثم ارتحل الى الديار المصرية ، وقرأ هناك مع السيد الشريف على مبارك شاه المنطقى ، ثم حج مع مبارك شاه ثم قدم القاهرة ، وقرأ مع السيد على الشيخ أكمل الدين ، وبرع فى جميع العلوم .

---

(١) انظر التعليقات السنية على الفوائد البهية ص ١٢٧ .
(٢) أنظر التعليقات السنية ص ١٢٧ والشقائق النعمانية جـ ١ ص ١١٢ ـ ١١٣ وكتائب أعلام الأخيار الورقة ٤٣٣ .
(٣) بادية بين الكوفة والشام من دومة الجندل الى عين التمر .

وصنف : لطائف الاشارات في الفقه وشرحه التسهيل ، وجامع الفصولين ، فصول العمادى وفصول الاستروشنى ، وغير ذلك ، وقد اتصل بتيمور للحكم في منازعات علمائه في بعض المسائل ، فرضوا بحكمه واعترفوا له بالفضل ، ومنحه تيمور مالا كثيرا .

٤ — الحاج باشا :(١)

هو صاحب التسهيل والشفا ، كان من ولاية ايدين من الروم ايلى موارتحل الى القاهرة ، وقرأ على أكمل الدين ومبارك شاه المنطقى ، ثم عرض له مرض شديد اضطره الى الاشتغال بالطب فمهر فيه ، وصنف قبل اشتغاله بالطب حواشي على شرح المطالع للقطب الرازى، وذلك قبل تأليف السيد الشريف حواشيه على شرح المطالع حتى أن السيد رد عليه في بعض المواضع مع أنه كان يشهد له بالفضيلة والسبق .

٥ — سعد الدين التفتازانى :(٢)

ذكر السيوطى في بغية الوعاة: أنه سعد الدين مسعود بن عمر وهو المشهور أما صاحب الدرر الكامنة فقد ذكره بلفظ محمود بن عمر بن عبد الله التفتازاني كان اماما عالما بالنحو والتصريف والمعاني والبيان والمنطق وغيرها ، وقد ذكر كل من صاحب الدرر الكامنة ومفتاح السعادة بأنه ولد سنة ٧١٢ هـ أما صاحب البدر الطالع وهدية العارفين فقد ذكرا أنه ولد سنة ٧٢٢ هـ وكانت ولادته بتفتازان قرية بنواحى نسا ، وأخذ عن القطب والعضد ، وتقدم في الفنون واشتهر ذكره وطار صيته ، وانتفع الناس بتصانيفه ، وكان في لسانه لكنه ، وانتهت اليه معرفة العلم بالمشرق .

ومن مصنفاته : شرح تلخيص المفتاح واختصاره ، وشرح الرسالة الشمسية وشرح التلويح ، وحاشية شرح مختصر الأصول ، ورسالة الارشاد ، وتهذيب الكلام ، وشرح القسم الثالث من مفتاح العلوم ، وحاشية على الكشاف ، وغير

---

(١) الفوائد البهية ص ١٢٨ وكتائب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٣٣ والشقائق النعمانية جـ ١ ص ١١٤ .

(٢) أنظر بغية الوعاة ص ٣٩١ والدرر الكامنه جـ ٥ ص ١١٩ ومفتاح السعادة جـ ١

ذلك وقد عاصر السيد الشريف والتقى معه عند شاه شجاع وكذلك اجتمع به في مجلس تيمور لنك ودارت بينهما المناقشات والمناظرات حول مسائل بلاغية ، وسوف نعرض لذلك بالتفصيل في حديثنا عن العلاقة بينهما ان شاء الله تعالى .

وقد اختلف المؤرخون في سنة وفاته فمنهم من ذكر أنه مات سنة ٧٩١ هـ ومنهم من ذكر أن وفاته كانت سنة ٧٩٢ هـ بمدينة سمرقند .

تلامذة الشريف الجرجاني :

ذكرنا أن السيد قد اتصل بشاه شجاع ، وقد أعجب الشاه بعلمه وفضله ففوض اليه التدريس بدار الشفا سنة ٧٧٩ وظل السيد مدة عشر سنين يفيد ويدرس ، ثم رحل مع تيمور الى بلاد ما وراء النهر فكان هناك صاحب حظوة عند تيمور فأعطاه الصدارة حتى أن طلاب العلم في الدولة العثمانية التركية كانوا يتجهون الى سمرقند لتكميل ثقافتهم ، أخذا من طريقة التفتازاني والشريف الجرجاني حيث كانا يجمعان بين المعقول والمنقول ، فتتلمذ عليهما الكثير أمثال موسى باشا الذى ارتحل الى ما وراء النهر ليقرأ على السيد الشريف . (١)

ولذلك يمكن القول بأنه كان للسيد الشريف تلاميذ كثيرون ، لأنه قضى بالتدريس عشر سنين ، وهي مدة تكفيلة بأن يخرج من تحت يده فيها علماء كبار أصحاب ثقافات متنوعة ، كما أن اعطاءه الصدارة في دولة تيمور تجعل له أثرا ملحوظا في كثير من طلاب العلم في ذلك الوقت ، وسوف نعرض بشيء من الايجاز لأهم الشخصيات التي أخذت عن السيد أو تأثرت به في تحصيلها للعلم والثقافة فيما يأتي :

١ — محمد بن السيد الشريف : (٢)

هو محمد بن علي بن محمد الجرجاني الحسيني ، المتوفى سنة ثمان وثلاثين وثمانمائة ومحمد هذا ابن السيد ، وقد قرأ على والده وتثقف على يديه

= ص ٢٠٥ وشذرات الذهب جـ ٦ ص ٣١٩ ، البدر الطالع جـ ٢ ص ٣٠٣ ، انباء الغمر جـ ١ ص ٣٨٩ وهدية العارفين ص ٤٢٩ والفوائد البهية ص ١٣٤ .

(١) أنظر المجددون في الاسلام ص ٣٢١ .

(٢) انظر مفتاح السعادة جـ ١ ص ٢١٣ وهدية العارفين جـ ٢ ص ١٨٩ والفوائد البهية ص ١٣٢ والضوء اللامع جـ ٩ ص ٢٢ .

وبرع في العلوم العقلية والنقلية ، وله تصانيف كثيرة ، فقد كمل حاشية والده علـــى المتوسط كما شرح الارشاد في النحو للتفتازاني ، وشرح الفوائد الغياثية ، وهـــو اختصار للمفتاح لعضد الدين ، وهو شرح ممزوج لطيف في الغاية ،وكذا شرح هداية الحكمة ، وهو شرح ممزوج ، وله رسالة مختصرة في المنطق كتبها على أسلوب رسالـــة والده في المنطق مع زيادات شريفة - الا ان والده كتبها بالفارسية - كما عرب رسالـة لوالده في المنطق تسمى الرسالة الكبرى .

٢ - المولى فخر الدين العجم :(١)

تولى الافتاء في دولة السلطان مراد خان بن أد رخان ، وكان مولى فاضلا كاملا ، ويذكر صاحب الفوائد البهية " أنه كان من تلامذة السيد الشريـــف وفاق على أقرانه ، وبرز في المعقول والمنقول ، وكانت له مشاركة تامة في العربية والأدب والكلام والحكمة ، أتي بلاد الروم في دولة السلطان محمد خان وصـار مفتيا في زمـــن السلطان مراد خان ، وكانت وفاته بمدينة أدرنه " وكـــان - رحمه الله - عالما ورعا لا يأخذه في الحق لومة لائـــم .

٣ - فتح الله الشـــرواني :(٢)

هو فتح الله بن عبد الله الشرواني الرومي،الحنفي المذهب ، أخذ العلوم عن التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني،استفاد منهما في العلوم الشرعيـــة والعقلية،وكان يسكن في بلدة القسطموني ، وكانت وفاته سنة سبع وخمسيـــن وثمانمائة ومن تآليفه : تعليقات على شرح الجغميني لقاضي زاده - وحاشيـــة على الهيات المواقف ، شرح ارشاد الهادي ، لأستاذه في النحو .

٤ - موســـى باشـــا :(٣)

هو موسى باشا بن المولى محمود قاضي بروسه ، ارتحل الى خراسان ثـم

---

(١) انظر الفوائد البهية ص ١٥٣ وكتائب أعلام الأخيار . الورقة ٤٤١ والشقائـــق النعمانية بهامش وفيات الأعيان ج ١ ص ١٢٠ .

(٢) أنظر الشقائق النعمانية بهامش وفيات الأعيان ج ١ ص ١٧٠ وهدية العارفيـــن ج ١ ص ٨١٥ وكتائب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٤١ .

(٣) انظر كتائب اعلام الأخيار . الورقة ٤٤٢ والمجددون في الاسلام ص ٣٢٢ .

ارتحل الى ما وراء النهر وأخذ عن علمائه بسمرقند وغيرها ، وقد اشتهر بين أهل تلك البلاد ، وكانوا يلقبونه بقاضي زاده الرومي ، وكانت شهرته بالعلوم الرياضية أكثر من غيرها ، وموسى هذا لم تطل مدة أخذه عن الشريف الجرجاني بل حدث خلاف بينهما أدى الى أن يتركه - على ما يروى - أنه قرأ على السيد الجرجاني ولكنه لم تحصل موافقة بينهما فترك درسه ، ثم سئل كل منهما عن الآخر فقال السيد عنه: غلب على طبعه الرياضيات ، وقال هو في السيد : هو لا يقدر على الافادة لي في العلوم الرياضية ، وهذا يدلنا الى أن السيد كان لا يميل كثيرا الى الرياضيات .

٥ - علاء الدين بن مصلح :(١)

هو علي بن موسى بن ابراهيم العلاء ، أبو الحسن بن مصلح الدين الرومي ، وهو ممن حضر في ابتداء مناظرات التفتازاني والسيد بحضرة تيمور وغيره ، فحفظ تلك الأسئلة والأجوبة الفخمة وأتقنها ، غير أنه كان مبغضا للناس لطيشه وحدة مزاجه واستخفافه بمن يبحث معه ، ويذكر الأستاذ عبد المتعال الصعيدي عنه " أنه ممن رحل الى مصر ، وكان من تلامذة سعد الدين والسيد الجرجاني وقد نالته في مصر حرمة وافرة من الأشرف برسباي ، وكان يستخف بالعلماء المصريين ولا يرى علمهم شيئا بالقياس الى العلم الذي أخذه عن سعد الدين والجرجاني ، وكان لهذا أثره في شيوع الطريقة العجمية في التعليم بين علماء مصر وغيرهم من علماء العرب " ومن هذا يتضح أنه كان متأثرا بالسيد وسعد الدين تأثرا بالغا حتى أنه كان يتعصب لطريقتهما لدرجة جعلته يستخف بمن لم يأخذ عنهما .

٦ - السيد علي العجمي :(٢)

حصل العلوم في بلاده وقرأ على السيد الشريف ، ثم أتى بلاد الروم فأكرمه اسماعيل بك ثم رحل الى أدرنه فأعطاه السلطان مرادخان مدرسة جده

---

(١) انظر الضوء اللامع جـ ٦ ص ٤١ ، ٤٢ والمجددون في الاسلام ص ٣٢٤ .
(٢) أنظر الشقائق النعمانية بهامش وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٦٣ .

السلطان بايزيد خان بمدينة بروسه ، وقد عاش الى زمن السلطان خان ، وله مصنفات عدة ، منها حواش على كل من حاشية شرح الشمسية للسيد ، وحاشية شرح المطالع للسيد أيضا ، وشرح المواقف للسيد .

٧ — الشيخ محمد الكريمي قد له :

وهو ممن تتلمذ على الشريف الجرجاني كما ذكر في كتاب انباء الغمر بأنباء العمر[1] . فقد أخذ عن السيد شرح المفتاح والمواقف وغيرهما .

٨ — أبو الفتوح الطاووسي :

وقد تتلمذ على السيد ، على ما ذكره صاحب الضوء اللامع[2] ، اذ يقول " وقال أبو الفتوح الطاووسي ، وهو ممن أخذ عن السيد بعد أن عظمه جدا شهرته تغنيني عن ذكر نسبه ، وصيت مهارته في العلوم تكفيني في بيان حسبه سمعت عليه من شرحي التلخيص مع حاشيته التي كتبها على المطول ، وكذا مؤلفه شرح المفتاح " .

هذا ويقول صاحب الضوء اللامع أيضا : " وكان للسيد أتباع يبالغون في تعظيمه ويفرطون في اطرائه كعادة العجم ، وقد تصدى للاقراء والتصنيف والفتيا ، وتخرج به أئمة نحارير ، وكثرت أتباعه وطلبته ، واشتهر ذكره وبعد صيته[3]

***

:: آثار السيد الشريف العلمية ::

لقد أنتج السيد آثارا علمية جليلة ، موزعة على شتى الفنون من عقلية ونقلية وأدبية ، فاذا نظرنا الى مجموع مؤلفاته لرأينا بحرا زاخرا عمت آثاره سائر البلاد وانتفع بها أكثر الناس ، وعندما يذكره المؤرخون يذكرونه بالتبجيل والتعظيم ، وسنورد جانبا من أقوالهم عن مصنفاته وعظمتها وشمولها ، يقول : الشوكاني : " صار اماما في

---

(١) انباء الغمر بأنباء العمر ج ٣ ص ٢٨ .
(٢) الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ .
(٣) الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ وانظر البدر الطالع ص ٤٨٨ .

جميع العلوم ، مصنفا في جميع أنواعها ، متبحرا في دقيقها وجليلها ، انتفع الناس بمصنفاته في جميع أنواعها ،وهي مشهورة في كل فن ، يحتج بها أكابر العلماء ، وينقلون منها ، ويوردون ويصدرون عنها " (١) .

ويصفه رضا كحالة بقوله : " عالم حكيم مشارك في أنواع من العلوم "(٢) ووصفه العفيف الجرهي في مشيخته " بالعلامة فريد عصره ، ووحيد دهره ، سلطان العلماء العاملين ، افتخار أعاظم المفسرين ذى الخلق والخلق والتواضع مع الفقراء " (٣) .

ويصفه العيني بقوله : " عالم الشرق ، كان علامة دهره ، وزادت مصنفاته على الخمسين " (٤) وقال عنه اللكنوى : " عالم تحرير ، قد حاز قصبات السبق في التحرير ، فصيح العبارة دقيق الاشارة ، علق على الوافية في صباه ، ثم صنف كتبا في النحو بالفارسية ثم في العلوم العقلية والنقلية " . (٥)

ويقول الكفوى : " قدوة المحققين ،وأسوة المدققين الالهى ، فاز بالقدح المعلى في التحبير ، وهو سحبان البيان ، كأنه نباتي في حلاوة لفظه ، وابن صائغ في سبك كلامه وحسن ترصيفه ، صاحب الحل والعقد ، وكل الفنون عنده تعد ، ظهرت تصانيفه في ظهور الآفاق ،وكثرت تآليفه في بطون الأوراق " . (٦)

وهكذا نرى أن معظم من ترجموا للسيد الشريف يكادون يجمعون على شهرته وذيوع صيته في التأليف والتحبير ، وقد وصفوه بأوصاف تفوق الحد ، وعدوه من القدوة المحققين ، ومن علماء عصره المشهورين ، وعددت كتب التراجم الكثير من مصنفاته ومن المؤرخين من ذكر أشهر كتبه ومؤلفاته ، ومنهم من ذكر البعض دون البعض الآخر ، وسوف نستضيء بما ذكرته كتب التراجم عن مؤلفاته للاستعانة بذلك على حصر

---

(١) البدر الطالع ص ٤٨٨ .
(٢) معجم المؤلفين جـ ٧ ص ٢١٦ .
(٣) الضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ .
(٤) عقد الجمان جـ ٢ . الورقة ٣٤٤ .
(٥) الفوائد البهية في تراجم الحنفية ص ١٢٥ .
(٦) كتائب أعلام الأخيار . الورقة ٤٣١ مخطوط بدار الكتب برقم ٢٨٤ تاريخ .

هذه المؤلفات التي صنفها السيد الشريف الجرجاني في كل أنواع الفنون والعلوم كما يأتـــــي :

مؤلفاته البلاغيـــــة :

١ ـ كتاب المصباح في شرح القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي ، ويعتبر مـن أجود شروح القسم الثالث وأعظمها ، وقد تتبع فيه سعد الدين التفتازانـــي وغيره من شراح القسم الثالث من المفتاح ، وهو الذي تناوله بالتحقيق ألفه بسمرقند وفرغ منه أواسط شوال سنة ثلاث وثمانمائة من الهجرة .

٢ ـ حاشية على المطول " شرح التلخيص " لسعد الدين التفتازاني ، وذكـــر السيد في مقدمتها سبب وضعها بقوله : " فهذه حواش على الشرح المذكـــور لتلخيص المفتاح كنت قد قيدتها عليه مجملة حال ما قرأه على بعض أحبـــتي فسألوني بعد أمد أن أفصلها وأنقدها ففعلت ذلك بحمد الله مشتملة على فوائد ، منها : ما هو توضيح لمقاصد، وتنقيح لدلائله ، ومنها ما هـو تنبيه على مزاله وتبيين لوجوه اختلاله ، ومنها ما هو نكتة متعلقة بذلك المقـام وان لم يكن مما يساق اليه الكلام .. ثم يقول : وعساك اذا تأملت فيها ظفـرت بما تستعين به على تحقيق أصول فن البلاغة في مواضع شتى وانكشفت لك مطالب جليلة من عبارات القوم قد زل عنها أذهان أقوام تاهو فيها ـ خصوصــــا ـ في مباحث التعريفات وتحقيق أقسام الوضع ومعنى الحرف وأنواع الدلالات ، وفي الكشف عن زبدة التعريف وحقائق الاستعارات [1] وواضح أنه وضعها لينتقـد السعد في كتاب المطول وقد قرر فيها مسائل عديدة وانتقادات ذات قيمة ، ولكن الدكتور أحمد مطلوب قد تحامل عليه اذ يقول : " ان انتقاداته في الواقع لم تكن ذات قيمة ، واذا حققنا في هذه المسائل التي أشار اليها رأينا أنــــه وفى بوعده في تحديد التعريفات وضبطها ، وكيف لا يفعل هذا وهو مؤلـــف كتاب التعريفات الذي حدد فيه المعاني الاصطلاحية للألفاظ العربية علـــى

---

(١) حاشية السيد على المطول ص ٢ ـ ٥ .

مصطلح العلوم فى أيامه ؟ [١] ويقول شوقى ضيف انه كثيرا ما يحرر القول فى آراء الزمخشرى وعبد القاهر فى حاشيته (البلاغة تطور وتاريخ ص ٣٥٦) .

٣ ـ "حاشية للسيد على المختصر ، نسبها له اللكنوى فى الفوائد البهية ". [٢]

مؤلفات السيد فى التفسير :

١ ـ حاشية على أوائل الكشاف ، علقها على تعليقات المحقق سعد الدين التفتازانى وردها فى أكثر المواضع ، وهى فى مجملها شرح لمعانى الكلمات مع بيان مافى عبارات الزمخشرى من مجاز أو حقيقة بالى جانب اعتراضاته المتكررة على التفتازانى وقد وصل فيها الى قوله تعالى (ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم ان الله على كل شيء قدير) [٣] وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية برقم ٧٧٢ تفسيـــــر .

٢ ـ تفسير الزهراوين ـ البقرة وآل عمران ـ وقد ذكر هذا حاجى خليفة والبغدادى واللكنوى والسخاوى [٤] وغيرهم .

٣ ـ حاشية على تفسير البيضاوى (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) وذكر الشوكانـــى [٥] أنها على أوائل تفسير البيضاوى ، وهى مخطوطة بدار الكتب المصرية ، وعدد أوراقها ١٨٤ برقم ٥٣٢ تفسير طلعت .

٤ ـ رسالة فى تفسير قوله تعالى (سنريهم آياتنا فى الآفاق [٦] .. الآية) وقـــد نسب هذه الرسالة للشريف الجرجانى البغدادى [٧] وحاجى خليفة . [٨]

***

---

(١) القزوينى وشروح التلخيص ص ٥٨٢ ، ٥٨٣ .
(٢) الفوائد البهية ص ١٣٢ .
(٣) من الآية ٢٠ سورة البقـــــرة .
(٤) أنظر كشف الظنون ج ١ ص ٤٤٨ وهدية العارفين ج ١ ص ٧٢٨ والفوائد البهية ص ١٣٢ والضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ .
(٥) البدر الطالع ص ٤٨٨ .
(٦) من الآية ٥٣ من سورة فصلت .
(٧) هدية العارفين ج ١ ص ٧٢٨ .
(٨) كشف الظنـــون ج ١ ص ٤٤٨ .

مصنفاته فى النحو والصرف :

١ - حاشية على شرح الكافية للرضى فى النحو وهى ٦٠ ورقة ومخطوطة بمكتبة الأزهر الشريف تحت رقم (٢٦٢٣) حليم ٣٣٦٤٤ .

٢ - شرح الكافية بالفارسية، وذكر اللكنوى أن اسمه : شرح نقره كار للكافية .[١]

٣ - مقدمة فى الصرف ، ألفها بالفارسية ، وتعرف باسم " صرف مير " نسبها له البغدادى[٢] والسخاوى[٣] وغيرهما .

٤ - تعليق على العوامل المائة فى النحو للامام عبد القاهر الجرجانى ، ذكره حاجى خليفة .[٤]

٥ - رسالة فى النحو بالفارسية تعرف باسم نحو مير ، ذكرها اللكنوى .[٥]

٦ - شرح أبيات المفصل للزمخشرى ، وهو شرح للشواهد ثم بيان مكان الاستشهاد بالبيت مع ذكر الآراء التى قيلت فى البيت ، وهو مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٥٢٤٦ هـ .

٧ - شرح التصريف العزى ، طبع الأستانه .

مصنفاته فى المنطق والحكمة :

١ - حاشية على لوامع الأسرار فى شرح مطالع الأنوار ، للقطب الرازى ، وهو مطبوع وقد كتبها عند قراءته على مبارك شاه المنطقى .

٢ - رسالتين فى المنطق ، كتبهما بالفارسية وتعرفا بالصغرى والكبرى ، وقد عربهما ابنه محمد وسماهما الغرة والدرة[٦] ، وقد طبع .

٣ - حاشية على شرح تجريد القواعد المنطقية ، وهى مخطوطة بمكتبة الأزهر برقم (١٤) ١٣٣٩ منطق ، وقال عنها حاجى خليفة : " وهى حاشية عظيمة

---

(١) الفوائد البهية ص ١٣٢ .
(٢) هدية العارفين ج ١ ص ٧٢٨ .
(٣) الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ .
(٤) كشف الظنون ج ١ ص ١١٧٩ .
(٥) الفوائد البهية ص ١٣٢ .
(٦) انظر هدية العارفين ج ١ ص ٧٢٨ والضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ .

للعلامة المحقق السيد الشريف ، وقد اشتهر هذا الكتاب بين علماء الروم بحاشية التجريد ، والتزموا تدريسه بتعيين بعض السلاطين الماضية " (١) وقد طبعت طبع حجر بالهند .

٤ - شرح المواقف لعضد الدين ، طبع الأستانه .

٥ - شرح حكمة العين ، لنجم الدين على بن محمد ، مطبوع ، وقال عنه حاجي خليفة : " وهو أدون شروحه ، وفرغ منه أوائل شوال سنة ٨٠٧ هـ بسمرقند (٢)

٦ - حاشية على شرح قطب الدين التحتاني على الرسالة الشمسية في القواعد المنطقية . (٣)

٧ - حاشية على شرح مير حسين بن معين الدين لكتاب هداية الحكمة (٤) .

٨ - شرح هداية الحكمة ، للشيخ أثير الدين مفضل بن عمر الأبهري (٥) .

٩ - حاشية على شرح طوالع الأنوار ، لأبي بكر الأصفهاني ، طبع القاهرة سنة ١٣٢٣ هـ .

١٠- رسالة عن كليات في ماهيات الأشياء ، أثبتها له البغدادي . (٦)

١١- شرح حكمة الاشراق ، نسبها له السخاوي . (٧)

١٢- رسالة في تحقيق الواقع ونفس الأمر ، والفرق بينه وبين الخارج ، وهي برقم ١٧ مجاميع ق بدار الكتب المصرية .

ومن مؤلفاته في آداب البحث :

١ - شرح الآداب لعضد الدين الأيجي ، وهو تعليقه على المتن ، ذكره حاجي خليفة . (٨)

٢ - الآداب الشريفية في أدب المناظرة ، أربع صفحات ضمن مجموعة ، طبع .

---

(١) كشف الظنون جـ ١ ص ٣٤٧ . (٢) المرجع السابق جـ ١ ص ٦٧٥ .

(٣) المرجع السابق ، والضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ والفوائد البهية ص ١٣٢ .

(٤) كشف الظنون جـ ٢ ص ٢٠٢٩ ، ٢٠٣٨ .

(٥) المرجع السابق . (٦) هدية العارفين جـ ١ ص ٧٢٩ .

(٧) الضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ . (٨) كشف الظنون جـ ١ ص ٤١ .

ومن مصنفاته في الفروع والأصول :

١ - شرح كنز الدقائق في فقه الحنفية .(١)

٢ - حاشية الهداية للميرغاني في الفروع ، وهي أيضا في الفقه .(٢)

٣ - شرح كتاب منتهى السؤال والأمل ، في علمي الأصول والجدل لابن الحاجب (٣)

٤ - حاشية على أوائل تنقيح الأصول ، لصدر الشريعة عبد الله بن مسعود المحبوبي (٤)

٥ - حاشية على مقدمات التلويح للتفتازاني .

٦ - حاشية على شرح عضد الدين على مختصر ابن الحاجب ، طبع القاهرة سنة ١٢١٧ هـ .

علم الفرائض :

١ - شرح كتاب فرائض السجاوندي وهو المسمى بالفرائض السراجية ، فرغ من تأليفه بسمرقند سنة ٨٠٤ هـ وهو مطبوع ، وقال عنه حاجي خليفة : " وهو الشرح الباهر المتداول بين الأنام ، ولذلك سود العلماء وجه الأوراق بالحواشي عليه ومن ذلك حاشية المولى أحمد بن عبد الأول المتوفى سنة ٩٦٦ هـ والمولى مهر حسين الرومي وغيرهما .(٥)

التصوف :

١ - رسالة في الوجود ، ذكر فيها مراتب الموجودات . وهي فارسية ، وتوجد بدار الكتب المصرية ضمن مجموعة برقم ٢١٨٤٤ ب .

٢ - رسالة في الموجود بحسب القسمة العقلية ، ذكرها حاجي خليفة .(٦)

٣ - رسالة في مناقب الشيخ بهاء الدين نقشبند .وهي بالفارسية .(٧)

٤ - تعليقه على كتاب عوارف المعارف في التصوف للسهروردي .(٨)

---

(١) هدية العارفين ج ١ ص ٧٢٩ . (٢) المرجع السابق .
(٣) كشف الظنون ج ٢ ص ١٨٥٤ .
(٤) كشف الظنون ج ١ ص ٤٩٧ وهدية العارفين ج ١ ص ٧٢٨ .
(٥) كشف الظنون ص ١٢٤٨ . (٦) المرجع السابق ج ١ ص ٨٩٧ .
(٧) الفوائد البهية ص ١٣٢ والضوء اللامع ٥ ص ٣٢٨ .
(٨) كشف الظنون ج ١ ص ١٩١٣ وهدية العارفين ج ١ ص ٧٢٩ .

٥ - رسالة فى القدر ، نسبها له البغدادى .(١)

ومن مصنفاته فى علم الهيئة :

١ - شرح التذكرة النصيرية فى الهيئة ، لنصير الدين الطوسى(٢) ، المتوفى سنة ٦٧٢ هـ .

٢ - حاشية على التحفة الشاهية فى الهيئة لقطب الدين الشيرازى(٣) المتوفى سنة ٧١٦ هـ .

٣ - شرح كتاب الجغمينى فى الهيئة ، مخطوط بدار الكتب ، برقم ٧ هيئة . قوله

ومن مؤلفات الشريف الجرجانى غير ما سبق ما يأتى :

١ - كتاب التعريفات ، وهو مختصر جمع فيه تعريفات الفنون على الحروف ، مطبوع وقال عنه جورجى زيدان : " وهو من الكتب النادرة المثال فى العربية ، طبع سنة ١٨٤٣ م فى ليبسك ، وفى مصر سنة ١٢٨٣ هـ ".(٤)

٢ - حاشية على الخبيصى ، نسبها له السخاوى(٥) والشوكانى(٦) .

٣ - حاشية على شرح الاشارات والتنبيهات ، للطوسى ، نسبها له السخاوى والشوكانى(٧) .

٤ - حاشية على مشكاة المصابيح .(٨)

٥ - حاشية على الخلاصة فى أصول الحديث للطيبى .(٩)

٦ - الأجوبة لأسئلة الاسكندر من ملوك تبريز .(١٠)

٧ - كتاب شرح الوقاية ، نسبه له الشوكانى واللكنوى .(١١)

٨ - شرح تحرير اقليدس . للطوسى . (١٢)

---

(١) كشف الظنون ج ١ ص ٣٩١ وهدية العارفين ج ١ ص ٧٢٩ .
(٢) المرجع السابق وكشف الظنون ج ١ ص ٣٩١ . (٣) المرجع السابق ص ٣٦٨ .
(٤) تاريخ آداب اللغة العربية ج ٣ ص ٢٥٢ . (٥) الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ .
(٦) البدر الطالع ص ٤٨٨ . (٧) المرجعين السابقين .
(٨) انظر كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٠٠ والفوائد البهية ص ١٣١ .
(٩) كشف الظنون ج ١ ص ٧٢٠ وهدية العارفين ج ١ ص ٧٢٨ .
(١٠) الضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ .
(١١) البدر الطالع ص ٤٨٨ والفوائد البهية ص ١٣٢ .
(١٢) المرجع السابق ، والضوء اللامع ج ٥ ص ٣٢٨ .

٩ — شرح قصيدة كعب بن زهير (بانت سعاد) [١] .

١٠— رسالة فى الوضع وتعرف بالرسالة المرآتية ، وهى بدار الكتب المصرية برقم ١٠٤ مجاميع .

١١— الرسالة الحرفية ، وهى فى تحقيق معنى الحرف ، وهى أيضا بدار الكتب برقم ١١٦ مجاميع .

١٢— رسالة فى الصوت . نسبها له صاحب الضوء اللامع [٢] والفوائد البهية [٣] .

١٣— رسالة فى علم الأدوار . [٤]

١٤— رسالة فى تقسيم العلوم .

١٥— حاشية على كتاب نصاب الصبيان فى لغة العجم ، وهو منظوم فى مائتى بيت لأبى نصر مسعود بن أبى بكر الأديبى ، المتوفى سنة ٦٤٠ هـ . [٥]

١٦— حاشية على متن اشكال التأسيس . [٦]

١٧— وله ألفية فى المعمى والالغاز . [٧]

١٨— وذكر السخاوى أنه حرر الرضى شرح الحاجبية ، وكان فيه سقم كثير . [٨]

* * *

---

(١) البدر الطالع ص ٤٨٨ والفوائد البهية ص ١٣٢ والضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ .
(٢) جـ ٥ ص ٣٢٨ . (٣) ص ١٣٢ . (٤) المراجع السابقة .
(٥) كشف الظنون جـ ٢ ص ١٩٥٤ . (٦) المراجع السابقة .
(٧) هدية العارفين جـ ١ ص ٧٢٨ .
(٨) الضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ والفوائد البهية ص ١٣٢ .

:: منزلة الشريف الجرجاني وأثره في غيره ::

يتضح مما سبق أن عالمنا المحقق قد تناول بالتأليف معظم الفنون وأشهرها ولم يترك فنا الا كتب فيه . اما بالتصنيف ، أو بالتعليق ، أو بعمل الحواشي والنقد أو الشرح والترتيب وغير ذلك .

وقد أجمع معظم أصحاب كتب التاريخ ، بل وكثير من العلماء على علو مكانة السيد الشريف ونبوغه وتفوقه ، كما أجمعوا على تبحره في شتى العلوم ، عقلية ونقلية ، بل وصوفية ورياضية ، وسنتحدث هنا عما قاله عنه العلماء من مدح أو ذم محاولين تبرير بعض النقد الذى وجه اليه من بعضهم ان أمكن ذلك .

مع ما اشتهر به الشريف الجرجاني من منزلة علمية ، رأينا من يتهمه بعدم التذوق للعربية ، من ذلك ما ذكر في مفتاح السعادة قال : " نقل السيوطى عن شيخه محمد الكافيجى أنه قال : السيد الشريف وقطب الدين الرازى التحتاني لم يذوقا علم العربية ، بل كانا حكيمين " ولم يرتض طاشكبرى زاده هذا القول عن السيد ، بل دافع عنه بقوله : " قلت هذا الكلام خروج عن الانصاف ، ولا يلزم منه عدم انفرادهما بعلم العربية ومشاركتهما لسائر العلوم عدم معرفتهما ، فانظر بالانصاف في تصانيفهما مباحث تتعلق بالعربية قد عجز عنها القدماء من أرباب العلوم العربية ، ويختم دفاعه بقول الشاعر :

وعين البغض تبرز كل عيب * وعين الحب لا تجد العيوبا (1)

وقد أيد هذا الاتهام وتحامل على السيد الدكتور / أحمد مطلوب وذكر ان مشاركة السيد في التأليف في العربية لم تكن في الواقع مشاركة لها قيمتها وأثرها . (2)

وهذا القول من أحمد مطلوب خروج عن القاعدة العامة التى اعترفت بالفضل والمكانة للسيد الشريف .

---

(1) مفتاح السعادة ج ١ ص ٢٠٨ .
(2) القزوينى وشروح التلخيص ص ٥٨٢ .

ويمكن أن نقول ان سبب اتهام السيد بعدم تذوق العربية يرجع الى كثرة ماكتبه في المنطق والفلسفة وعلوم الهيئة وغيرها مما لا تتعلق له بالتذوق ، بل مبناه على الأتيسة والقوانين ، وكذلك ما نراه من خروج السيد أحيانا في توضيحه لبعض مسائل البلاغة وغيرها في كتاب المصباح وحاشية المطول الى الاستطراد في مسائل المنطق والفلسفة ، ومع هذا فالحق يقال أنه كثيرا ما راعى جانب الذوق وبين لنا مواطن الجمال وذلك بفهمه للأمثلة والشواهد فهما دقيقا يتفق والذوق السليم .

واتهمه صاحب كتاب أعلام الأخيار بأنه تربى على كتب السعد التفتازاني ثم قام بتزييفها حيث يقول : " ان السيد الشريف في مبادئ التأليف وأثناء التصنيف كان يغوص في بحار تحقيق سعد الدين وتحريره ، ويلتقط الدرر من لجج تدقيقه وتسطيره ويعترف برفعة شأنه ، الا أنه لما وقع المشاجرة بينهما بحيث لم يمكن الوفاق ، التزم السيد بتزييف كل ما قاله السعد ، وكلاهما فضلا في الورى كان ضرب الأمثال "(١) وهذا القول فيه — على ما يبدو — كثير من التجني على السيد فهو — وان كان قد أخذ عن السعد — الا أنه لم يزيف كل ما كتبه سعد الدين بل تناول بعض كتبه بالنقد موجها العبارة تارة ، ومؤيدا ما ذكره سعد الدين تارة أخرى ، ومعارضا لما ذهب اليه أحيانا ، والشاهد على ما ذكرت حاشية الشريف على المطول ، فقد اشتملت على التوجيه والتأييد والنقد أو المعارضة ، هذا بعض ما وجه اليه من انتقادات وأما المعترفون له بالفضل فكثيرون نذكر منهم على سبيل المثال :

— ما ذكره أبو الفتوح الطاووسي " شهرته تغنيني عن ذكر نسبه وصيت مهارته في العلوم يكفيني في بيان حسبه " .(٢)

— ويقول الزركلي : " هو فيلسوف من كبار العلماء بالعربية " .(٣)

— وقال بروكلمان " انه متكلم عربي وفيلسوف " (٤)

— وقال اللكنوي: " هو عالم نحرير ، قد حاز قصبات السبق في التحرير ، فصيح العبارة ، دقيق الاشارة ، نظار فارس في البحث والجدل ، صرف مناه نحو العربية في صباه ، ووصل الى أقصى مداه " .(٥)

---

(١) كتاب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٣٥ . (٢) الضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ .
(٣) الأعلام جـ ٥ ص ١٥٩ .
(٤) دائرة المعارف الاسلامية بروكلمان جـ ٦ ص ٢٣٣ .
(٥) الفوائد البهية ص ١٢٥ .

— ويقول الكفوي : " هو سيد الدهر ، وسند العصر ، أستاذ البشر ، قدوة المحققين وأسوة المدققين الالهي ، لقمان الحكمة ربي على المنطق ، فارابي الفطنة صاحب النفس القدسية بالعلم الرباني ، فاز بالقدح المعلى في التحبير وهو سحبان البيان ، بيانه مصباح معضلات المعاني ، كأنه نباتي في حلاوة لفظه ولطف طبعه ، أو ابن صائغ في سبك كلامه وحسن ترصيعه ، صاحب الحل والعقد ، فحل لا يحارب ، وليث لا يغالب ، جمع علمي الشريعة والحقيقة . أنبته الله نباتا حسنا ، غدى بالعلم ونشأ بالطلب ، فغدا في معاني البلاغة والأدب تصدى لتزييف كلمات القوم بأن يقول : قال .. أقول ، وتولى تشنيع الدخيل وحقق بين مقبول ومدخول ، ودقق بين منتقد ومنحول ، فجاء باليد البيضاء والحجة الزهراء ، والمحجة الغراء ، لم يصل أحد من شركائه الى معشار ما وصل اليه ، ان كنت طالبا لشاهد فتصانيفه شهود عدول عليه " .(١)

— وقال عنه الجامع : " قد طالعت من تصانيفه جملة من فنون عديدة ، وكلها مقبولة متداولة ، تنادي على شدة ذكائه ، واصابة رأيه " . (٢)

— وقال يوسف الأتابكي : " كان له أتباع وطلبة يعظمونه ويبالغون فيه ، وكان متصديا للاقراء والفتيا والتدريس والتصنيف . ويقول : حدثني غير واحد من تلامذته أنه كان شيخا أبيض اللحية ، نيرا وضيئا ، ذا فصاحة وطلاقة ، رشيق العبارة محجاجا ، عارفا بطريق المناظرة ، قويا في الاحتجاج ، متمكنا من عقله وقوله " . (٣)

— وقال الشوكاني : " أخذ عنه الأكابر وبالغوا في تعظيمه ، لا سيما علماء العجم والروم فانهم جعلوه هو والسعد حجة في علومهما ، وقد كان أهل عصر الجرجاني يفتخرون بالأخذ عنه ، ثم صار من بعدهم يفتخرون بالأخذ عن تلامذته ومصنفاته نافعة كثيرة المعاني ، واضحة الألفاظ ، قليلة التكلف والتعقيد الذي يوقع فيه عجمة اللسان كما يقع في كثير من مصنفات العجم " . (٤)

---

(١) كتائب أعلام الأخيار . الورقة ١ ٤٣ .
(٢) الفوائد البهية ص ١٣٠ .
(٣) المنهل الصافي . المجلد الثاني ج ٢ ص ١٩٩ .
(٤) البدر الطالع ص ٤٨٨ .

أما عن تأثر علماء الأقطار به واتباع طريقته فى التأليف وغيره فيقول الأستاذ / عبد المتعال الصعيدى بعد أن ذكر شيوع المختصرات والحواشى والشروح للكتب السابقة عن القرن الثامن الهجرى ، يقول : " وكان علماء العجم أول من برع فى هذه الطريقة ، وكان من أعلمهم بها فى هذا القرن سعد الدين التفتازانى والسيد الشريف الجرجانى ، وهما من علماء دولة تيمور ، فذاع صيتهما فى هذا القرن ببراعتهما فى هذه الطريقة ، ثم يقول : وسيكون لهذا أسوأ الأثر فيما بعد ، وكانت هذه الطريقة تنتقل من بلاد العجم الى بلاد العرب كمصر وغيرها على يد من ينتقل اليها من علماء العجم ، فتلقى بين علمائها ما تلقى من الرواج ، ويضيف فى قوله عن القرن التاسع : " وكانت الدولة التيمورية أقوى أثرا فى غيرها ، لأن علماءها كانوا يجمعون بين المعقول والمنقول على طريقة السعد التفتازانى والسيد الجرجانى ، وكانت الحركة العلمية فى الدولة العثمانية متأثرة بالحركة العلمية فى الدولة التيمورية الى حد كبير ، حتى أن كتب السعد والسيد الجرجانى وغيرهما هى التى كانت تدرس فى المدارس والمساجد بالدولة العثمانية ، ويذكر أيضا أن علاء الدين بن مصلح كان من تلامذة السيد ، وكان يستخف بالعلماء المصريين ولا يرى علمهم شيئا بالقياس الى العلم الذى أخذه عن سعد الدين التفتازانى والسيد الجرجانى ، وكان لهذا أثره فى شيوع الطريقة العجمية فى التعليم بين علماء مصر وغيرهم " . (١)

ومما سبق يتضح فضل الشريف الجرجانى وأثره فيمن بعده من علماء دولته بل وعلماء الدول الأخرى ، وأصبحت طريقته فى التأليف والتدريس هى الشائعة فى عصره وعصر من بعده ، خاصة فى الدولة العثمانية التركية .

<u>علاقة الشريف الجرجانى بسعد الدين التفتازانى :</u>

عندما نطالع كتب التاريخ التى تحدثت عن كل منهما نجد أنها تقرن دائما بين اسميهما ، وذلك بسبب المناظرة المشهورة التى جرت بينهما فى مجلس تيمور لنك ، والتى انتصر فيها السيد على التفتازانى بالافحام (٢) ، وسأتعرض لذكر العلاقة بينهما

---

(١) المجددون فى الاسلام ص ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ .

(٢) انظر شذرات الذهب ج ٥ ص ٣٢١ كشف الظنون ج ١ ص ٢٢٢ المنهل الصافى . المجلد الثانى ج ٢ ص ١٩٩ ، عقد الجمان الورقة ٣٤٤ . البدر الطالع ص ٤٨٨ .

بايجاز وكيفية اتصال السيد بتيمور وتقديمه له على سعد الدين ، ثم أعرض للمناظرة بينهما وما حدث فيها ، معقبا ذلك بأقوال العلماء وموقفهم من تلك المناظرة ، ورأى العالمين يفضلون وذلك على النحو التالـــي :

اتصال السيد الشريف بسعد الدين :

يذكر العلماء أن الشريف الجرجاني قد تعرف على سعد الدين بالتتلمذ على كتبه أولا ثم انه بعد ذلك أراد أن يتصل بالشاه شجاع بن محمد مظفر ليتشرف بملازمته فذهب الى سعد الدين ، وطلب منه أن يساعده في لقائه بالسلطان شجاع وذلك للعلاقة التي تربط سعد الدين بالسلطان ، حيث كان يذهب اليه في قصر زرد ، وكان هذا سنة سبعين وسبعمائة ، فلما قدمه سعد الدين لشجاع أخذه معه الى شيراز وفوض اليه التدريس في دار الشفا كما ذكرنا ،

وبعد أن توطن السيد بشيراز للتدريس ثم جاء تيمور الى شيراز فاتحا وأمـــر بالنهب والاغارة فيها وأعطى الأمان للشريف الجرجاني استجابة لعرض وزيره حينئـــذ فعلقوا سهما من سهام تيمور على باب السيد الشريف ، علامة لاعطاء الأمان ، فأخـذ كل من يريد النجاة من عسكر تيمور في اللجوء الى دار الشريف الجرجاني ، وبعــد انتهاء الاغارة التمس وزير تيمور منه أن يرتحل الى ما وراء النهر ليتولى التدريس هناك وهذا ما أشار اليه السيد في مقدمة شرحه للقسم الثالث من المفتاح بقوله : " حـتى ابتليت في آخر العمر بالارتحال الى ما وراء النهر " وكان هذا سنة تسع وثمانيـــن وسبعمائة من الهجرة ، ويذكر المؤرخون أن الشريف الجرجاني في رحلته هذه " قد قرن الله مساعيه بالنجاح ، فلازم الدرس والافادة ، وصنف من الفنون عدة ، ولقــد كانت مناكب الصحف بمعاطـــف فوائد كلامه مجلله ، وهام المشكلات بجواهر تقاطـر أقلامه مكللة ، فأعجب الناس حسن كلامه ، وفصاحة لسانه ، وبلاغة بيانه ، فأقـروا لـه بالفضل ، وأحلوه المحل الرفيع ، وقدموه وأجلسوه الصدر " . (١)

***

---

(١) كتائب اعلام الأخيار – الورقة ٤٣٢ ، والفوائد البهية ص ١٢٨ .

موقف تيمور من السيد وتقديمه له على التفتازاني :

لما رأى تيمور تفضيل الناس للجرجاني واعجابهم به، والتفافهم حوله ، أخذ يقدمه في مجلسه ويجعل له الصدر بعد أن كان هذا الصدر خاصا بالعلامة التفتازاني ،وفي ذلك يقول الكفوي : " فبينما هو كذلك — السيد — اذ أمر تيمور بالاجلاس ، وكان المولى سعد الدين التفتازاني صدره ،وكان حبرا غواصا في بحار المعارف ، وقد طبق لآلئ تصانيفه الآفاق ، فالتقى البحران الزاخران في مجلس تيمور ، وهما في العقل والنقل يضرب بهما المثل ، ولولاهما لآل بيت العلم الى أن كان كالطلل فعين تيمور الصدر للشريف الجرجاني ورجحه في هذا الاجلاس على المولى التفتازاني سنة ٧٩١ هـ ، وكان يقول: فرضنا أنهما سيان في الفضل والعرفان فللسيد شرف النسب فيرجح اذا تساوى الحسب ، فانشرح صدر الشريف الجرجاني وأقدم على افحام العلامة التفتازاني " . (١)

وتقديم السيد على التفتازاني في مجلس تيمور كان له أكبر الأثر في نفس الشريف الجرجاني ، فأخذ في مناقشة التفتازاني في مسائل عدة أمام تيمور ، وكثيرا ما كان يظهر عليه فيها (٢)، مريدا بذلك أن يؤكد كونه جديرا بهذا التقديم وأن يثبت للجميع أن تقديمه لم يكن لفضله في النسب فحسب كما ذكر تيمور في سبب تقديمه ، بل ها هو ذا يتحدى صاحب الصدر الأسبق ويجاد له في شتى المسائل ، وكلها تنتهي بافحام العلامة التفتازاني ،واذا كان هذا قد ترك أثرا حسنا في نفس الجرجاني فقد كان العكس من ذلك عند السعد التفتازاني ، اذ كان لهذا سيء الأثر في نفسه فأصابه الحزن المرير والكمد البالغ ، وظل هكذا الى أن قامت بينهما المناظرة المشهورة في اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية في قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم (٣)) وما أن انتهت المباحثة بالحكم فيها للجرجاني حتى اغتم التفتازاني ، ولم يستمر بعدها الا أياما قلائل ، ومات — كما يقول الرواة — كمدا سنة ٧٩٢ هـ .

***

---

(١) كتائب أعلام الأخيار . الورقة ٤٣٢ .
(٢) أنظر الضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ .
(٣) من الآية ٥ سورة البقرة .

المناظرة بين السيد والتفتازانـــي :

كان موضوع الجدل والبحث بينهما في مجلس تيمور يدور حول اجتماع الاستعـــارة التبعية والتمثيلية في كلام صاحب الكشاف في قوله تعالى (أولئك على هدى من ربهم) فذهب التفتازاني الى جواز اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية، أما الشريف الجرجاني فذهب الى عدم اجتماعهما ، فأخذا يتباحثان ويذكر كل منهما حجته حتى انتهـــى الأمر بالغلبة للسيد ، وكان الحكم بينهما نعمان الدين الخوارزمي، أبو عبد الجبـــار وكان أعمى ويقال له النعمان الثاني ، وفي الضوء اللامع ⁽¹⁾ أن أسمه عبد الجبـــار بن عبد الله الخوارزمي الحنفي ، قدم حلب مع تيمور ، وتوفي سنة ٨٠٥ هـ ، وكـــان عالم الدشت في زمانه ، كما كان عالما بارعا في الفقه والأصول والمعاني والبيـــان والعربية واللغة ، كان يباحث العلماء في دولة تيمور، ولديه فصاحة بالعربية والعجميـة والتركية ⁽²⁾ ، وكان تيمور قد عقد لتلك المناظرة مجلسا غاصا بالفحول وهم علمـــاء سمرقند وسائر البلاد ، وسأذكر المراجع التي ذكرت هذه المناظرة ثم أثبتها هنا كما ذكرها صاحب كتائب أعلام الأخيار ، والمصادر التي وصلتنا عنها هي كالآتي :

- ذكرها الكفوي في كتائب أعلام الأخيار في الورقات ٤٣٥ – ٤٤١ وهو كتـــاب مخطوط بدار الكتب المصرية برقم ٣٨٤ تاريخ .
- وأوردها طاش كبرى زاده في رسالة ضمنها تعليقات له وتوضيحات على كـــلام كل منهما وذهب الى ترجيح السعد ، وتسمى تلك الرسالة : مسالك الخـــلاص في مهالك الخواص ، وهي مخطوطة بدار الكتب رقم ٣٠٨ بلاغة .

  كما تعرض لذكرها أيضا في شرحه للفوائد الغياثية ص ٢٥١ .
- وذكر تلك المباحثة أيضا صدر الدين زاده في كتابه الفوائد الخاقانية، وهـــو مخطوط بمكتبة الأزهر تحت رقم (١٦٨٧) حليم ٣٤٦٤٤ .
- ونقلها منه ابن صدر الدين تحت عنوان : مسألة في تحقيق الاستعارة التمثيلية من الفوائد الخاقانية ، وهي ضمن كتاب مخطوط بدار الكتب تحت رقم ١٢٨ مجاميع . ويذهب فيها الى تأييد التفتازاني .

---

(١) الضوء اللامع جـ ٤ ص ٣٥ .
(٢) انظر التعليقات السنية ص ١٢٩ وعجائب المقدور في أخبار تيمور ص ٢٢٧ – ٢٢٨ والشقائق النعمانية بهامش وفيات الأعيان جـ ١ ص ١٠٦ .

هذا ، وتعرض السيد الشريف لذكر ما ذهب اليه في هذا في حاشيته على المطول ص ٣٩١ ، ٣٩٣ ، ٣٩٩ وكذلك في شرحه للقسم الثالث من المفتاح ص ٤٤٩ ،
واذ انتهينا الى ذلك لم يبق الا أن نورد لك ما دار في تلك المناظرة كالآتي :

يقول الكفوى : " قال العلامة الزمخشري في تفسير الكشاف في قوله تعالـــــى : (أولئك على هدى من ربهم) ومعنى الاستعلاء في (على هدى) مثل لتمكنهـــم واستقرارهم عليه وتمسكهم به ، شبهت حالهم بحال من اعتلى وركب ، [1] " ا ٠ هـ ٠

وقال العلامة التفتازاني في حاشية الكشاف :[2] " يعني أن هذه الاستعـــارة تبعية تمثيلا ، أما التبعية ، فلجريانها أولا في متعلق معنى الحرف ، وأما التمثيـل فلكون كل من طرفي التشبيه حالة منتزعة من عدة أمور ، لأنه شبهت حالهم في اتصافهم بالهدى على سبيل التمكن والاستقرار بحال من اعتلى الشيء وركبه ، فتكون الصفـــة بمنزلة المركوب " ا ٠ هـ ٠

— فعارضه السيد الشريف في المجلس وقال : " لا يخفى عليك أن متعلق معـــــنى الحرف ههنا — أعني كلمة على — هو الاستعلاء ، كما أن متعلق معنى من هـــو الابتداء ، ومتعلق معنى الى هو الانتهاء ، ولا يلتبس أيضا أن الاستعـــــلاء من المعاني المفردة ، كالضرب والقتل ونظائرهما ، وكذلك معنى على مفـــــرد اذ لا نعني بالمفرد في اصطلاح القوم الا ما دل عليه بلفظ مفرد — وان كان ذلك المعنى مركبا في نفسه — بدليل أن تشبيه الانسان بالأسد تشبيه مفرد بمفـــرد اتفاقا — وان كان كل منهما ذا أجزاء كثيرة — ولما صرح بأن كل واحد من طرفي التشبيه ههنا حالة منتزعة من عدة أمور لزمه أن يكون كل واحد منهما مركبا وحينئذ لا يكون معنى الاستعلاء مشبها به أصالة ولا معنى (على) مشبها به تبعـــا في هذا التشبيه المركب الطرفين لأنهما معنيان مفردان ٠ واذا لم يكن شيئـــا منهما مشبها به ههنا ، سواء جعل جزءا من المشبه به أو خارجا عنه ٠ لـــم يكن شيء منهما أيضا مستعارا منه فكيف يسري التشبيه والاستعارة من أحدهما الى الآخر ؟

---

(١) الكشاف جـ ١ ص ٣٥ ٠
(٢) انظر حاشية التفتازاني على الكشاف ٠ الورقة ٣٤ مخطوط برقم ٣٧٢٩ ب دار الكتب ٠

والحاصل أن كون (على) استعارة تبعية يستلزم أن يكون متعلق معناها — أعنى الاستعلاء — مشبها به ومستعارا منه أصالة وأن يكون معناها مشبها به ومستعارا منه تبعا ، وأن يكون كل واحد من طرفى التشبيه ههنا مركبا يستلزم أن لا يكون معنى (على) ولا متعلق معناها مشبها به و لا مستعارا منه ، لا تبعا ولا أصالة وتنافى اللازمين ملزوم متنافى الملزومين فاذا جعلت استعارة تبعية لم تكن تمثيلية مركبة الطرفين قطعا " وبعد ما أطنب السيد فى الاعتراض ولا يمل ، أوجز العلامة التفتازانى ولا يخل .

— وقال : " ان انتزاع كل واحد من طرفى التشبيه عن أمور متعددة لا يستلزم تركبا فى شئ من الطرفين ، بل فى مأخذها " .

— فقابله السيد الشريف فى صحة هذا الأصل اللطيف ، وركب المجادلة والمكابرة وامتد المباحثة والمناظرة فقال : " كلامكم هذا ظاهر البطلان فان المشبه — مثلا — اذا انتزع من عدة أمور فلا يصح أن ينتزع بتمامه من كل واحد من تلك العدة ، الا أنه اذا انتزع بتمامه من واحد منها فقد حصل المقصود الذى هو المشبه ، فلا معنى لانتزاعه من واحد آخر مرة أخرى بل يجب — على ذلك التقدير — أن يكون جزءا من المشبه به مأخوذا من بعض تلك الأمور وجزءا آخر من بعض آخر ، فيلزم تركبه قطعا ، ولأنهم قد أطبقوا على أن وجه الشبه فى التمثيل لا يكون الا مركبا — وليس هناك ما يوجب تركبه سوى كونه منتزعا من عدة أمور — فانهم عرفوا التمثيل بما وجهه منتزع من متعدد ، فاذا كان انتزاع وجه الشبه من أمور متعددة مستلزما لتركبه ، كان انتزاع كل من طرفى التشبيه منها مستلزما لتركبهما لأن المقتضى للتركيب هو الانتزاع من أمور عدة وخصوصية كون المنتزع وجه شبه أو مشبها به أو مشبها ملغاة فى ذلك الاقتضاء جزما ، ولأنكم قلتم فى شرح التلخيص فى رد من جوز أن يكون قوله تعالى (مثلهم كمثل الذى استوقد نارا) (1) من تشبيه المفرد بالمفرد ، ومنهم من قال هذا التشبيه ليس تشبيها مفردا ولا مركبا ، وانما يكون كذلك لو كان تشبيه أشياء بأشياء

---

(1) من الآية ١٧ من سورة البقرة .

وليس كذلك ، بل هو تشبيه شيء واحد هو حال المنافقين بشيء واحد هو حال المستوقد نارا ،[1] أقول : لا معنى للتشبيه المركب الا أن ينتزع كيفية من أمور متعددة ، فيشبه بكيفية أخرى كذلك ، فيقع في كل من الطرفين عدة أمور ربما يكون التشبيه فيما بينهما ظاهرا ، لكن لا يلتفت اليه بل الى الهيئة الحاصلة من المجموع كما مر في قوله :

وكأن أجرام النجوم لوامعا * درر نثرن على بساط أزرق [2]

وهذا كلامك صرح بأن كل واحد من طرفي التشبيه اذا كان حالة منتزعة من أشياء متعددة كان مركبا ، وبأن التشبيه المركب لا يكون طرفاه الا منتزعين من أمور عدة فلا فرق اذن في وجود التركيب بين أن يقال : هذا تشبيه مركب بمركب وبين أن يقال هذا تشبيه منتزع من عدة أمور بمنتزع آخر من أمور أخرى ، فمنع هذا المعنى في هذا المقام مكابرة وتلبيس خوفا من شناعة الالزام ، ولعلك تشتهي الآن زيادة تحقيق وتوضيح في البيان فنقول : ان قوله تعالى (على هدى) يحتمل وجوها ثلاثة :

أحدها — أن يشبه الهدى بالمركب الموصل الى المقصد ، فيثبت له بعض لوازمه وهو الاستعلاء على طريقة الاستعارة بالكناية .

وثانيها — أن يشبه تمسك المتقين بالهدى باعتلاء الراكب في التمكن والاستقرار وحينئذ يكون كلمة (على) استعارة تبعية .

وثالثها — أن يشبه هيئة مركبة من المتقي والهدى وتمسكه ثابتا مستقرا عليه بهيئة مركبة من الراكب والمركوب واعتلائه عليه متمكنا منه ، وعلى هذا ينبغي أن يذكر جميع الألفاظ الدالة على الهيئة الثانية ويراد بها الهيئة الأولى ، فيكون مجموع تلك الألفاظ استعارة تمثيلية كل واحد من طرفيها منتزع من أمور متعددة ، فلا يكون في شيء من مفردات تلك الألفاظ تصرف بحسب هذه الاستعارة ، بل هي على حالها قبل الاستعارة فلا يكون استعارة تبعية في كلمة (على) كما ظننت ، كما لا استعارة

---

(١) أنظر المطول ص ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٢) البيت من الكامل ، وقائله : أبو طالب الرقي .

تبعية في الفعل في قولك : تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، الا أنه اقتصر في الذكر من تلك الألفاظ على كلمة (على) لأن الاعتلاء هو العمدة في تلك الهيئة اذ بعد ملاحظته يقرب الذهن الى ملاحظة الهيئة واعتبارها ، فجعل كلمة (على) بمعونة قرائن الأحوال قرينة دالة على أن الألفاظ الأخر الدالة على سائر أجزاء تلك الهيئة مقدرة في الارادة قد دل بها على سائر الأجزاء قصدا ، كما قصد الاعتلاء بكلمة (على)

ولا مساغ لأن يقال : استعيرت كلمة (على) وحدها من الهيئة الثانية للهيئة الأولى ، وذلك لأن الهيئة الثانية ليست معنى (على) ولا متعلق معناها الذي تسري الاستعارة منه الى معناها ، والهيئة ليست مفهومة عنا وحدها فكيف تستعار هي من الثانية للأولى " ؟ .

ثم لما تخيل السيد الاعتراض من جانب المولى التفتازاني فسارع الشريف الجرجاني الى الجواب فقال : " فان قلت لما كان معنى الاعتلاء مستلزما لفهم المعتلي والمعتلى عليه كانت كلمة (على) دالة على مجموع الهيئة فلاحاجة الى تقدير ألفاظ أخر ؟
قلت : فهم المعتلي والمعتلى عليه من الاعتلاء انما يكون تبعا لا قصدا ، وذلك لايكفي في اعتبار الهيئة ، بل لا بد أن يكون كل واحد منهما ملحوظا قصدا - كالاعطاء - ليعتبر هيئة مركبة منهما ، وهما من حيث أنهما ملاحظان مدلولا لفظين آخرين فلا بد أن يكونا مقدرين في الارادة ، وأما تقديرهما في نظم الكلام فذلك غير واجب بل ربما كان تقديرهما موجبا لتغيير نظمه ، ويجوز كون الألفاظ مرادا منويا وان لم يكن مقدرا في تركيب الكلام ، وتمييز الوجه الثاني - أعني أن يكون الاستعارة تبعية - عن الوجه الثالث - أعني أن تكون الاستعارة تمثيلية - مبني على تدقيق النظر في أحوال المعاني المقصودة بالألفاظ المقدرة ورعاية ما يقتضيه قواعد علم البيان ، فمن ثمة زلت فيه أقدام الأقوام فضلوا وأضلوا " .

- ثم قال التفتازاني : " فعلى أي هذه الوجوه تحمل كلام العلامة ؟ "
- فقال الشريف الجرجاني : " على الوجه الثاني فانه جعل المشبه به اعتلاء الراكب ويعلم من ذلك أن المشبه هو التمسك بالهدى ، وأن وجه الشبه هو التمكن والاستقرار ، وأما قوله : مثل ، فمعناه تمثيل ، أي تصوير ، فان المقصود من

الاستعارة تصوير المشبه بصورة المشبه به ، بل تصوير وصف المشبه بصورة وصف المشبه به ، مثلا اذا قلت : رأيت أسدا يرمي، فقد صورت الشجاع في صورة الأسد ، بل صورت شجاعته بصورة جرأته ولما كان المقصود الأعلى تصوير ما في المشبه من وجه الشبه قدم التمكن والاستقرار على التمسك الذي هو المشبه ، وانما قال : ومعنى الاستعلاء تنبيها على أن استعارة اللفظ تابعة لاستعارة المعنى فتكون مفيدة للمبالغة ثم قال الشريف : فان قلت قد تبين لنا مما قررت أن الصواب هو أن طرفي التشبيه التمثيلي مركبان معنى ولفظا كما صرح به في الايضاح، ويشهد به المفتاح، وتبين أيضا أن الاستعارة التبعية في كلمة (على) لا تجامع التمثيلية أصلا ، فما حال التبعية في سائر الحروف والأفعال والأسماء المتصلة بها ؟

قلت : هي لا تجامع التمثيلية في شيء منها ، وذلك لأن معاني الحروف كلها مفردات لكونها مدلولة لألفاظ مفردة ، وكذا متعلقات معانيها من حيث أنها مفهومة من تلك الحروف ومعاني الأفعال ومصادرها والأسماء المشتقة منها كلها مفردات أيضا كما ذكرنا ، وليس شيء من هذه المعاني هيئة مركبة ولا حالة منتزعة من عدة أمور فلا يقع شيء منها مشبها به أصالة ولا تبعا في الاستعارة التمثيلية " .

فقال العلامة التفتازاني : " لا يقال الاستعارة التبعية الحرفية لا تكون تمثيلية لأنها تستلزم كون كل من الطرفين مركبا ، ومتعلق معنى الحرف لا يكون الا مفردا ؟ لأنا نقول : كلتا المقدمتين في حيز المنع ، فان مبنى التمثيل على تشبيه الحالة بالحالة ، بل وصف صورة منتزعة من عدة أمور بوصف صورة أخرى ، وهذا لا يوجب الا اعتبار التعدد في المأخذ لا فيه نفسه ، فلا ينافي كونهما متعلق معنى الحرف " .

فقابله الشريف وقال : " وأنت بعد ما خبرتك بتحقيق ما سلف من وجود افراد متعلقات معاني الحروف ووجوب تركب ما ينتزع من أمور متعددة ، تعلم سقوط هذين المنعين معا سقوطا لا مرية فيه ولا خفاء ، ومع هذا عبارتك هذه مختلة أيضا ، فان لفظ الوصف في الموضعين مستدرك ، بل الصواب أن يقال بل صورة منتزعة من عدة أمور لصورة أخرى ، فان المشبه ــ مثلا ــ هو الصورة المنتزعة ــ لا وصفها .

وعلى هذا جرى القيل والقال، وانتهى البحث والخصام والجدال ، فرجح الحكم

النعمان كلام الشريف على سعد الزمان ، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان ، وهكذا سمعته من أصحاب المقال ، وأخذته من أفواه الرجال ،[1]

هذه هي قصة المناظرة المشهورة بينهما كما وردت الينا من مصادرها .

آراء العلماء فى المناظرة وأى الجانبين يفضلون :

اختلفت آراء العلماء حول نتيجة هذه المناظرة ، ففريق منهم يرجح السيد الشريف والفريق الآخر يرجح جانب التفتازانى ، ولكل من الفريقين وجهة نظر خاصة ورأينا من العلماء من يفرد لهذه المناظرة أبحاثا ورسائل خاصة بها سواء كانت مستقلة أو ضمن كتبهم وحواشيهم ، بل وكثيرا ما كانت تثار بين العلماء تلك المناظرة ويبدى كل منهم وجهة نظره فيها على هيئة مناظرة أيضا وسأتناول ههنا بشئ من الايجاز أهم الآراء وأصحابها كالآتى :

١ – رأى صدر الدين زادة :[2]

بعد أن عرض لقصة المباحثة يقول : " هذان خصمان اختصما فيه ، فان قلت الحق مع من ؟ قلت : سأل الأمير تيمور مولانا نعمان المميز عن ذلك فورى فى الجواب وقال : الحق مع الأمير ، وعندى أن الحق مع العلامة التفتازانى ، لأن المراد بالتركيب ههنا كون وجه الشبه – مثلا – هيئة منتزعة على ما صرح به فى المطول واعترف به قدس سره ، وبعد توضيح ذلك يضيف قائلا : لا خفاء فى أن المشبه والمشبه به فى الاستعارة التمثيلية هما الهيئتان المنتزعتان ، فاذا كان معنى الانتزاع ما ذكره – قدس سره – كانت الأجزاء أعنى الأمور المتعددة الأجزاء – أجزاء لما انتزع منه – لا أجزاء لنفس المشبه والمشبه به ، فيرجع الى ما ذكره الشارح المحقق من كونه مستلزما للتركيب فى مأخذهما .

وأيضا لو صح ما ذكره قدس سره من استلزام تركب وجه الشبه تركب

---

(١) كتائب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٣٥ .

(٢) انظر : مسألة فى تحقيق الاستعارة التمثيلية : مخطوط بدار الكتب رقم ١٢٨ مجاميع ، الورقة ٢٦ .

الطرفين لزم أن لا يجوز كون وجه الشبه مركبا فيما طرفاه مفردان ، وهو خلاف ما صرحوا .

٢ — رأى الكفوى وآخرين ذكرهم فى كتابه :[1]

بعد أن يذكر المباحثة يعقب عليها ثم يورد آراء جانب من العلماء سنذكرهم بعد بيان رأيه ، نجد الكفوى مترددا فى ترجيح أى منهما — وان كان يميل الى تأييد السيد حيث يقول : " وانى محسن ظنى ويقينى بأن ما حققه السيد الشريف فى هذا المبحث اللطيف حقيق بأن يضمحل به الشبه ويسكت عنده المنطيق المفوه وكلما تأملت كلام هذين المحققين أجد الفهم العليل والطبع الكليل الى عكس تحقيق الشريف يميل ، فكنت الوم نفسى على هذا وكانت تقول كلما ألومها لعلك اذا تأملت فيها تجد فيما تميله وجها وجيها " هذا ما ذكره ، ثم يورد آراء العلماء فيقرر أن أبا السعود العمادى ذكر أن مولانا الأستاذ أبا جانب مرجح فى تفسير الارشاد جانب السيد الشريف ، ويضيف الكفوى قوله : ان المولى التاشكندى سلطان محمد قال : وانى أظن الحق فى جانب التفتازانى فى جواز اجتماع الاستعارة التبعية مع الاستعارة التمثيليةوانى حققته فى حواشى على شرح المطول على ما هو ظنى . وقد صرح باجتماعهما : الفاضل اليمنى ، وأشار اليه القاضى البيضاوى فى مواضع عديدة ويذكر التاشكندى أيضا أن الفاضل المحشى صاحب الدرر الفريدة والغرر النضيدة حكم بهذا الاجتماع .

ثم يقول الكفوى : ان أبا السعود عندما التقى بالتاشكندى جرى بينهما نقاش حول المناظرة سنة ٩٨٠ هـ فرجح أبو السعود السيد ورجح التاشكندى التفتازانى وذكر أبو السعود :أن الاستعارة التبعية لا تجامع الاستعارة التمثيلية ،لأن مبنى الأول تشبيه المفرد بالمفرد ومبنى الثانى تشبيه المركب بالمركب ، فالصواب عدم الاجتماع بلا مرية ولا نزاع ، وبعد أن أطنب أبو السعود رد عليه التاشكندى بقوله : انكم قلتم ان الهيئة المنتزعة من أمور عدة تكون مركبةفما تقولون فى الحيوان الذى هو

---

(١) أنظر كتاب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٣٨ — ٤٣٩ .

جزء الانسان ، فانه منتزع من أمور متعددة وهى جسم تام حساس متحرك بالارادة ومع هذا مفرد بلا خفاء ؟ فلتكن الهيئة المنتزعة من أمور متعددة كذلك ، وهنا رد عليه أبو السعود قائلا : هذا بحث فلسفي لا يناسب المقام ، لأن أهل المنطق يترددون بين الحدود والقضايا وأرباب البلاغة يخوضون فى الخواص والمزايا ليعاينوا دلائل اعجاز القرآن الكريم ، وظل كل منهما متمسكا بما ذهب اليه وافترقا على هذا الحال[1] .

٣ ـ موقف القوشى وخواجة زاده من المباحثة :

ذكر الكفوى أن علاء الدين علي بن محمد القوشي لما قدم القسطنطينية والتقى بالخواجة زادة قاضيها وركبا السفينة معا ، فذكر القوشى المباحثة ورجح جانب التفتازانى ، فرد عليه خواجة زاده بقوله : وانى كنت أظن الأمر كذلك الا أنى حققت البحث المذكور وظهر أن الحق فى جانب السيد الشريف وكتبت عن ذلك فى حاشية كتابى ، فلما طالع المولى القوشى تلك الحاشية اقتنع بذلك وقال عن خواجة زاده للسلطان محمد خان لا نظير لهذا الرجل فى العجم والروم .[2]

وذكر الكفوى أيضا أن محمد بن قرا مرزا دافع عن التفتازانى فى حاشيته على شرح التلخيص وتم تحقيق ذلك فى حاشيته التى علقها على تفسير البيضاوى .

٤ ـ موقف طاش كبرى زادة :

لقد وضع العلامة طاشكبرى زادة رسالة تتعلق بالمباحثة وسماها مسالك الخلاص فى مهالك الخواص كما ذكرنا ، ويدافع فيها عن التفتازانى ويوضح مراده ثم ينقد كلام السيد ، وذلك فى كلام طويل حول الاستعارة التبعية والتمثيلية وفى نهاية الرسالة ، ذكر أن الحق كان فى جانب التفتازانى ، لكن حياءه أثر عليه فلم يستطع مجاراة السيد الشريف فغلب على أمره وحكم للشريف بالغلبة

---

(١) كتائب أعلام الأخيار ، الورقة ٤٣٩ .
(٢) المرجع السابق ، الورقة ٤٤٠ .

يقول طاشكبرى زاده : " اشتهر عند الخواص والعوام غلبة الشريف على العلامة التفتازانى بالالزام والافحام ، لكن الحق على خلاف ما اشتهر ، لما أن الحق مما ظل فيه التفتازانى ومات ، الا أن الشريف خلب عقله بالتمويهات والمغالطات وصادف وقتئذ حكما يروج زيفه ، ويقوم أوده ، ويقوى ضعفه ، وينشد قول القائل :

والغبن فى العلم أشجى محنة علمت * وأبرح الناس شجوا عالم هضما

وفى موضع آخر تعرض طاشكبرى أيضا للحديث عن المناظرة وذلك فى الفوائد الخيائية أثناء حديثه عن الاستعارة فى قوله تعالى (ربما يود الذين كفروا .. الآية) ويدافع عن التفتازانى بقوله : " ولعله انما أفحم عليه لغاية حلمه لا لقصور فى علمه وأن الفاضل الشريف لما غلب عليه قوة البحث والجدال غلب عليه ، وافتخر بعضهم حبر هو البحر فى كل الفنون سيما الأدبية " ثم يعود فيمدحهما معا بقوله : " والحق أن كلا منهما عالم العلم وعلم التحقيق ، والآية الكبرى فى الفضل والتدقيق " . (١)

٥ — رأى حاجى خليفة :

يقول : " ان السيد قد ظهر فى المباحثة على سعد الدين لفصاحته وطلاقة لسانه وكان لسان السيد أفصح من قلمه والتفتازانى بالعكس ، والأفاضل فى التفضيل بينهما على قسمين ، والأكثر فى جانب السعد " . (٢)

٦ — رأى مــلا خسرو : (٣)

يقول ملاخسرو : " فالانصاف أن الحق ما ذهب اليه النحرير — يقصد سعدا — من جواز اجتماع التبعية والتمثيلية ، اذ قد صرح به العلماء الثقات وفهم من تقريرات الأئمة والاطلاقات ، أما الأول : فلتصريح الفاضل اليمنى وبعض المتأخرين من شراح المفتاح بجواز اجتماعهما ، كما اعترف به المعترض وتصريح صاحب البسط به أيضا حيث قال فى هذا الموضع وهى استعارة تمثيلية

---

(١) انظر مسالك الخلاص مخطوط بدار الكتب برقم ٣٠٨ بلاغة ، والفوائد الخيائية ص ٢٥١ .

(٢) كشف الظنون جـ ١ ص ٢٢٢ .

(٣) أنظر حاشية ملاخسرو على المطول ، مخطوط برقم ٣٢م بلاغة بدار الكتب .

واقعة على سبيل التبعية واما الثانى : فيشهد به تتبع عبارات الكشاف والمفتاح والامام البيضاوى فى مواضع عديدة ، أما عبارات الكشاف : فمنها ما قاله فى تفسير قوله تعالى (ان الله لا يستحى أن يضرب مثلا " (١) هو جار على سبيل التمثيل ٠٠٠٠٠ الخ وبعد مناقشة عبارات الكشاف يقول : " وأما عبارات المفتاح فمنها ما قال : فى تحقيق الاستعارة فى (لعل) اذا أردت استعارة لعل لغير معناها قدرت الاستعارة فى معنى الترجى ٠٠٠٠ الخ وبعد أن يوضح ملاخسرو هذا يقول : وأما عبارات الامام البيضاوى ، فمنها ما قال: وقد عبر عن احداث هذه الهيئة بالطبع فى قوله تعالى : (أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم) (٢) الى غير ذلك مما يدل على اجتماعهما ،بخلاف ما اختاره المعترض فانه شئ لم يصرح به أحد سواه ، ولم يفهم من تقرير أحد ممن عداه ، الا ما صدر من صاحب الايضاح فى رد كلام المفتاح حيث قال: ورد بأن التمثيل يستلزم التركيب المنافى للافراد ، وبعد أن يدخل فى نقاش طويل مع السيد الشريف يقرر قوله : والحاصل ان التعدد فى الجملة معتبر فى طرفى التمثيلية الا أن الدال عليه هل يجب أن يكون الفاظا بعضها محقق وبعضها مخيل منوى فى الارادة بلا ذكر ولا تقدير ، لأن التقدير موجب لتغيير نظمه ، ومع ذلك يسمى مركبا ؟ أم يكفى أن يكون لفظا مفردا يعتبر فى مدلوله التعدد ولو بحسب الخارج ؟

والحق هو الثانى لأن الأول — مع كونه مخالفا لكلام الأئمة — غير موافق لاصطلاح أهل العربية ، فقد تلخص من جميع ما مر من التحرير ٠ أن الحق فى هذا المقام ما ذهب اليه النحرير ، فكن ذا الفكر فى هذا المقام ، فان القول ما قالت حذام "(٣) أ ٠هـ ٠

٧ — رأى الأستاذ أمين الخولى :

يقول فى كتابه مناهج تجديد — بعد أن يتحدث عن أثر الفلسفة فى البلاغة العربية — يقول : " وانتهاء البحث فى البلاغة الى ضروب من الخلاف والمناقشة تعقد لها مجالس المناظرة ويعقد لها المحكمون بين السعد

---

(١) من الآية ٢٦ سورة البقرة ٠
(٢) من الآية ١٠٨ سورة النحل ٠
(٣) حاشية ملاخسرو على المطول ٠ الورقة ١٣٩ ، ١٤٠ برقم ٣٢م بلاغة بدار الكتب المصرية ٠

التفتازاني والسيد الشريف الجرجاني حين يتناظران في اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية كأنهما يتناظران في مشكل من أصول القوانين أو معضل من مسائل الفلسفة الى أن ينهزم السعد فيموت — رحمه الله — كمدا وضحية الفلسفة الزائفة في البلاغة المظلومة ، ثم يعقب على ذلك بقوله : ولعل معاصريهما قد سعوا بينهما بما زاد الجو فسادا ، كما يحتمل أن السياسة قد دخلت في الأمر ، لأن السيد كان محل رعاية أحد وزراء تيمور وهو الذى قدمه اليه ودافع عنه في أول لقائه بـه " (١)

هذه أهم الآراء التي قيلت عن المناظرة ، ورأينا بعضا منهم يدافع عن التفتازاني بأنه كان صاحب حياء وحلم ، كما كان صاحب لكنة في لسانه ، ومنهم من دافع عن الشريف بأن ما ذكره يتفق ومنهج البحث البلاغي من حيث الذوق .

واعتقد أن هذا الخلاف بين العلماء في تلك المناظرة خلاف لفظي حول كيفية التركيب في الاستعارة التمثيلية على ما يبدو لي .

هذا وان كان السيد الشريف بغلبته على السعد قد حاز الاعجاب والافتخار حيث قدم عند تيمور وجعل له الصدر ، لكن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، فان كان السيد قد خلع التفتازاني من الصدر عند تيمور فقد قيض الله للشريف الجرجاني من أنزله هو أيضا عن مكان الصدارة واحتله بدلا منه ذلك هو محمد بن محمد الجزرى الذى فضله تيمور على السيد فيما بعد سنة ٨٠٦ هـ وحدث ذلك بأن كان الجزرى ببروسة أثناء فتح تيمور لنك لها سنة ٨٠٥ هـ وكان متصدرا للاقراء ، وكان شيخا كبيرا مشهورا بالرواية والذكاء عالما بالتفسير والحديث فذهب به الأمير تيمور الى ما وراء النهر ، وكان السيد الشريف حينئذ مدرسا بسمرقند وقد اتخذ تيمور هناك وليمة عظيمة وقدم الشيخ الجزرى على الشريف الجرجاني ، فقيل له في ذلك قال : كيف لا أقدمه وهو رجل عارف بالكتاب والسنة ؟ يقرأ بالحق ويشاور ما أشكل عليه منهما النبي — صلى الله عليه وسلم — فيحل له . (٢)

---

(١) مناهج تجديد في النحو والبلاغة ص ١٧١ .
(٢) كتائب أعلام الأخيار — الورقة ٤٣٤ والشقائق النعمانية بهامش وفيات الاعيان ج ١ ص ٩٨ — ١٠٧ .

وفاة الشريف الجرجانـــــــي :

اتفق معظم أصحاب التراجم على أن السيد الشريف على بن محمد بن علـــــي الجرجاني قد توفي بشراز سنة ست عشرة وثمانمائة من الهجرة بعد أن عاش قرابـــــة خمسا وسبعين عاما وثماني شهور وأربع عشرة يوما ، ومن هؤلاء المؤرخين خير الدين الزركلي(١) وبروكلمان(٢) ، وجورجي زيدان(٣) ، وحاجي خليفة(٤) ، وطاش كبرى زاده(٥) والبغدادي(٦) وغيرهم ، ويذكر السخاوي في الضوء اللامع قوله : " انه مات كمـــــا قال العفيف الجرهي وأبو الفتوح الطاووسي في يوم الأربعاء سادس ربيع الآخر سنة ست عشرة بشيراز ودفن بتربة وقب داخل سور شيراز ، بالقرب من الجامع العتيق المسمى بمحلة سواجان في قبر بناه لنفسه " .(٧)

ومع ذلك فمن المؤرخين من يقرر أن وفاته كانت سنة أربع عشرة وثمانمائة وهـــــو العيني صاحب عقد الجمان اذ يقول : " وممن توفي في تلك السنة (٨١٤ هـ) من الأعيان الشريف الجرجاني على بن محمد بن على ، عالم المشرق بشيراز "(٨) وكذا الأتابكي(٩) ذكر أنه توفي سنة ٨١٤ هـ ، وقد استبعد صاحب الضوء اللامع هذا التاريخ وقرر أن التاريخ الأول هو الصواب .

وقد تابع السيوطي العيني فيما ذكره ، لكنه استدرك عليه بقوله : " وأفاد نـــــي صاحبنا المؤرخ شمس الدين بن عزم أن مولد الشريف بجرجان سنة أربعين وسبعمائـــة وأنه توفي بشيراز سنة ست عشرة وثمانمائة " .(١٠)

وكذلك يذكر البقاعي في حاشية انباء الغمر أنه مات سنة ست عشرة لكنه يذكـــر

---

(١) الأعلام جـ ٥ ص ١٥٩ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية لبروكلمان جـ ٦ ص ٣٣٣ .
(٣) تاريخ آداب اللغة العربية لجورجي زيدان جـ ٣ ص ٢٢٥ .
(٤) كشف الظنون جـ ٢ ص ١٧٦٣ .
(٥) مفتاح السعادة جـ ١ ص ٢٠٨ .
(٦) هدية العارفين جـ ١ ص ٧٢٨ . (٧) الضوء اللامع جـ ٥ ص ٣٢٨ .
(٨) عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان جـ ٥ ، الورقة ٣٤٤ .
(٩) المنهل الصافي ـ المجلد الثاني جـ ٢ ص ١٩٩ .
(١٠) بغية الوعاة ص ٣٥١ .

أن ابن حجر العسقلاني قال : " أخبرني الأوحد جمال الدين محمد ابن الناصر أن شهاب الدين بن عربشاه فارق السيد في بلاد العجم سنة ٨١٩ هـ ثم بلغه عن قرب أنه مات في تلك السنة ".(١)

وقد وجدت أيضا في احدى نسخ المصباح المخطوطة بدار الكتب المصرية وهي النسخة رقم ٢٩ بلاغة ، وجدت مكتوبا في آخرها أن السيد ولد سنة ٧٤٠ هـ وتوفي سنة ٨٢٠ هـ .

ومما سبق نرى أن الأقوال في وفاته انقسمت الى أربعة أقوال : الأول أنه توفي سنة ٨١٦ هـ وهو الصواب ، والثاني أنه توفي سنة ٨١٤ هـ ، والثالث أنه توفي سنة ٨١٩ هـ والرابع أنه توفي سنة ٨٢٠ هـ والصواب كما قلت هو الأول لأن هذا ما أجمع عليه الغالبية العظمى من المؤرخين وهو المشهور بين الجميع ، أما بقية الأقوال الأخرى فهي أقوال انفرد بها أصحابها ولم يؤيدهم فيها أحد ، بل ردها عليهم مؤرخون آخرون.

* * *

(١) انباء الغمر بأبناء العمر ج ٣ ص ٢٨ .

((الفصل الثالث))

:: كتاب المصباح للسيد الشريف ::

كتاب المصباح للعلامة السيد الشريف الجرجاني ، هو شرح للقسم الثالث من مفتاح العلوم للعلامة السكاكي ، وهو القسم المتعلق بعلمي المعاني والبيان وتوابعهما ، وقد سبق أن ذكرنا الشروح التي تناولت القسم الثالث ، هذا ، ورأينا أن صاحب كشف الظنون قد قرر أن أهم الشروح التي تناولت القسم الثالث وأجودها ثلاثة ، ومنها شرح الشريف الجرجاني . (١)

وقد التزم فيه الشريف الجرجاني بنفس ترتيب القسم الثالث من المفتاح فلم يقدم بابا على آخر أو فصلا على غيره ، بل سار في الشرح على ترتيب السكاكي للكتاب وقد شرحه بطريقة القول ، بمعنى أنه يورد كلام السكاكي بقوله : قال .. كذا - أقول أو بقوله : قوله كذا .. ثم يشرح كلام السكاكي موضحا ومفسرا ، مؤيدا أو معارضا ناقدا أو مادحا ، وهكذا ..

سبب تسمية الكتاب بالمصباح :

لقد أورد الشارح في مقدمته عبارة استطعت أن أهتدي بها على سر هذه التسمية - على ما يبدو لي - وذلك أنه عندما وصف ما وجد عليه أهل بلاد ما وراء النهر من جهلهم بما في المفتاح من نكات وفرائد يقول : " فقلنا لهم يا أهل الكتاب لستم على شيء ، تنفخون ، بلا ضرام . (٢) وتتسمنون بلا أورام ، تضيمون الأعمار ولا تستضيئون بالأنوار " . (٣)

وأعتقد أنه سماه بالمصباح لما تصوره من كون شرحه هذا سيكون ضياء ونورا يهتدي به هؤلاء القوم الى الصواب لفهم ما في مفتاح العلوم من مسائل .

---

(١) كشف الظنون جـ ٢ ص ١٧٦٣ .

(٢) الضرام : اشتعال النار في الحلفاء مثلا ، وأيضا هو دقاق الحطب الذي يسرع اشتعال النار فيه .

(٣) مقدمة السيد في شرحه للقسم الثالث .

الباعث على وضع كتاب المصباح :

يذكر السيد أنه فكر كثيرا في أن يضع شرحا للقسم الثالث من مفتاح العلوم ولكن منعه من ذلك ما كانت عليه الحال من الحوادث والنكبات والحروب والاضطرابات التي سادت عصره الأول ، ثم يذكر أنه عندما ارتحل الى بلاد ما وراء النهر وجد هناك أقواما عطشى يعتمدون على شروح أكثرها جروح ، فأشفق عليهم هو ، وأظهر لهم بعض ما يعرفه من نكات تضمنها الكتاب فأقبلوا عليه معجبين بفضله وعلمه وليغترفوا من هذا البحر الفياض ، والحوا عليه في أن يضع لهم شرحا يهديهم الى طريق الصواب ويهيء لهم من أمرهم رشدا ، فاستجاب لمطلبهم ، وبدأ في وضع هذا الكتاب ، وقد ذكر هذا بقوله في مقدمة شرحه : " فقد طال ما جال بصدري أن أرتب للقسم الثالث من مفتاح العلوم شرحا يذلل صعابه ، ويميط عن مخدراته نقابه ، وكان يحول بيني وبينه صروف الزمان ، حتى ابتليت في آخر العمر بالارتحال الى بلاد ما وراء النهر (1) فوجدت هناك أقواما عطشى الأكباد ، يحومون حول الكتاب ولا يهتدون الى موارده سبيلا ، وكانوا في حل تراكيبه والكشف عن نكت أساليبه متكئين على شروح أكثرها جروح وأمثلها مدخول ومجروح ، لا ترى فيها لعليل شفاء ، ولا لغليل دواء ، فقلنا لهم يا أهل الكتاب لستم على شيء .. فلعمري ما أنتم الا كباسط كفيه الى الماء ، فهل أدلكم على تجارة تنجيكم من الشقاء فقالوا ان هذا لشيء عجاب ، ما سمعنا بهذا في آبائنا الأولين ، فأريناهم من آياتنا الكبرى ، فقالوا آمنا بما جاءنا من الحق المبين فزدنا من لدنك علما ، وهيء لنا من أمرنا رشدا ، فوجهنا ركاب النظر شطر مطالبهم (2) ...... الخ " .

هذه عبارته ، ومنها يتضح جيدا عجبه الشديد بنفسه ، والافتخار بعلمه والطعن في شروح المفتاح التي تقدمت شرحه .

توثيق نسبة المصباح الى الشريف الجرجاني :

لم أعثر على قول لعالم أو مؤرخ يشكك في نسبة الكتاب الى الشريف الجرجاني

---

(1) بلاد تقع وراء نهر جيحون بخراسان من شرقية ، وهي من أخصب الأقاليم .
(2) مقدمة الشارح للمصباح .

وكذلك لم أجد في أي نسخة من نسخ الكتاب المخطوطة والمتعددة ما يفيد بأن واحد منها قد نسبت الى شارح آخر غير السيد ، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فان كتب التراجم التي ذكرت السيد الشريف تكاد تكون مجمعة على نسبة هذا الكتاب اليه بلا استثناء ، ومن ذلك على سبيل المثال كشف الظنون[1] ودائرة المعارف الاسلامية لبروكلمان[2] ، والضوء اللامع [3] وهدية العارفين [4] والمنهل الصافي [5] ومفتاح السعادة[6] وغيرها الكثير ومن ثم يمكننا أن نقول ونحن على ثقة بأن هذا الكتاب واضعه السيد الشريف .

نسخ الكتـــاب :

بالنسبة لنسخ كتاب المصباح نما أكثرها عددا ، وهي تتنوع حسب الأحجام والخطوط وعدد الأسطر ، فمنها ما هو بالحجم الكبير وما هو بالمتوسط أو الصغير وكذلك تتنوع في أنها كلها لم تكتب في زمن واحد بل كتبت في أزمنه متتابعة ويوجد جانب من تلك النسخ بمكتبة الأزهر الشريف وهي سبع نسخ قيدت تحت أرقام :(٤٠٥) ٨٨٠٤ـ (١٠١٨) ٢٢٧٦٠ (١٧٨٥) ـ عروسي ٤٢٥١٧ ، (١٨٦٥) ٤٥١٧٨ نحيت ، (١٨٦٦) ٤٥١٧٩ بخيت ـ (٢٠١٤) ٤٨٥٨٥ امبابي (٢٠١٥) ٤٨٥٨٦ امبابي .

وأما دار الكتب المصرية ففيها ما يزيد على عشر نسخ ، تقع تحت أرقام ١١٧ ـ ١١٨ بلاغه وهما مصورتان ميكروفيلم ، ١١٢ ـ ١٢٣ بلاغة تولة ، ٢ ش، ، ٦٤١٤هـ ومن رقم ٢٦٩ الى ٢٧١ طلعت ومن رقم ٢٥ الى ٣٦ بلاغة ، ١٦٠ ، ٥١٥ بلاغة تلك هي نسخ المصباح وسوف اتعرض لذكر النسخ التي اعتمدت عليها في التحقيق فيما بعـــد .

الحواشي التي وضعت على شرح السيد الشريف :

لئن كان كتاب مفتاح العلوم قد أحدث دويا في عالم الشرح والتلخيص و الاختصار

---

(١) انظر ج ٢ ص ١٧٦٣ .
(٢) انظر ج ٦ ص ٣٣٣ .
(٣) انظر ج ٥ ص ٣٢٨ .
(٤) انظر ج ١ ص ٧٢٩ .
(٥) انظر المجلد الثاني ج ٢ ص ١٩٩ .
(٦) انظر ج ١ ص ٢٠٨ .

فان شرح السيد الشريف هو الآخر قد لقى حفاوة بالغة من جانب العلماء المعلقين وأصحاب الحواشي ، فقد وضعت على هذا الشرح حواشي ما اكثرها ، كما وضعت على تلك الحواشي حواش أخرى كثيرة ، وكل هذه الحواشي والتقريرات لم تتعرض في الغالب الا لشرح الألفاظ لغويا ، أو لتوجيه كلام الشارح والدفاع عن وجهة نظره كما تتعرض لبعض نقاط الخلاف التي أثارها الشارح مع غيره من شراح المفتاح ، وتتميز هذه الحواشي أيضا بكبر حجمها وتوسعها في استعراض المعاني اللغوية للكلمة ، ومرادفها وأصلها واستعمالها الى آخر تلك المماحكات اللفظية التي لا تغني شيئا

ومن أهم وأبرز هذه الحواشي :

١ — حاشية محمد بن موسى البوسنوى تقع في ٤٠٨ ورقة ، برقم ٢٩٧ بلاغة بدار الكتب .

٢ — حاشية الخفاجي ، شهاب الدين احمد بن محمد ، برقم ١٦٣ بلاغة بدار الكتب المصرية .

٣ — حاشية علاء الدين على بن محمد الشهير بمصنفك ، برقم ٣٠٦ بلاغة بدار الكتب .

٤ — حاشية شيخ زاده على شرح السيد .

٥ — تعليقة لشمس الدين محمد بن حمزة الفنارى المتوفى سنة ٨٣٤ هـ .

٦ — حاشية للمولى زكريا بن بيرام المفتى ، المتوفى سنة ١٠٠١ هـ .

٧ — تعليقة للمولى صالح بن جلال القاضى المتوفى سنة ٩٧٣ هـ سماها مناقد الرأيين في قواعد الفنيين .

٨ — حاشية على منق .

٩ — حاشية للمولى على المعروف بواسعى عيسى .

١٠ — حاشية لأمير حسن .. وغير ذلك الكثير والكثير .

وقد ذكر صاحب كشف الظنون من الحواشي والتقريرات على شرح السيد مايزيد على عشرين حاشية وتقريرا .(١)

---

(١) أنظر هذه الحواشي في كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٦٤ — ٧٦٦ .

مصادر كتاب المصباح :

علمنا من حديثنا عن حياة السيد وثقافته أنه كان فى طلبه للعلم ينتقل من قطر الى آخر كالنحلة فى انتقالها من زهرة الى أخرى لتمتص من رحيقها ، فما كان يسمع عن عالم جليل فى أى فن الاطار اليه ولازمه للانتهال من علمه ، وعلمنا من كلامنا عن مصنفاته أنه يكاد يكون قد كتب فى كل فن من فنون العربية بل والفارسية أيضا حيث رأينا شمول مؤلفاته وتنوعها ، كما سمعنا شهادة كثير من العلماء له بالفضل والذكاء والفطنة والتحقيق والتدقيق .

وقد عرفنا أن السيد لم يضع كتابه هذا الا بعد ارتحاله الى بلاد ما وراء النهر وفرغ من تأليفه سنة ٨٠٣ هـ ، وهذا يفيدنا أنه أقبل على هذا الشرح فى مرحلة اكتملت فيها ثقافته اكتمالا تاما ، بحيث كان عالما حينئذ بشتى أنواع العلوم وأيضا وضع الكتاب فى فترة كان فيها مبجلا معظما حيث كان صاحب الصدارة فى بلاط تيمور وكان رائدا للعلماء هناك ومقدما عليهم جميعا .

كما أن شرحه هذا قد سبق بشروح أخرى للقسم الثالث ، وكلها لا شك قد أفادته كثيرا . لأنه قد اطلع عليها وقد نقد بعضا من آراء أصحابها فى شرحه، وهذا كله يدل على كثرة المصادر التى استفاد منها الشريف الجرجانى فى شرحه للقسم الثالث من المفتاح وتنوعها وشمولها لشتى أنواع الفنون .

والذى يطالع شرحه يجد أثر ثقافته واضحا فيه وضوحا تاما ، حيث تنوعت المصادر بشكل ملحوظ ، فقد ضمنه الكثير من آراء البلاغيين أمثال الامام عبد القاهر والزمخشرى وابن الأثير والرازى وسعد الدين وغيرهم .

وكثيرا ما ناقش السكاكى فيما ذهب اليه فى بعض المسائل مستعينا بآراء علماء البلاغة، وان كان لم يشر الى بعضهم صراحة أمثال الخطيب القزوينى والشيرازى وغيرهما من شراح المفتاح .

وكذلك اتخذ من الكشاف مصدرا رئيسيا للاستعانة به فى تفسير الآيات التى وردت فى الكتاب وقراءتها ، كما أنه ضمن شرحه كثيرا من آراء النحويين وذكر فيه

مباحث نحوية مستفيضة مستشهدا بآراء النحاة أمثال سيبويه والمبرد والزجاج والأخفش وأبو سعيد السيرافي وأبو على الفارسي وعلى بن عيسى الربعى والكسائي والمازني واستشهد أيضا بمذاهب الكوفة والبصرة •

وأيضا اتخذ من آراء اللغويين مصدرا يستعين به في شرح الألفاظ والشواهد ومنهم الجوهرى وابن السكيت وأبو عبيد وشريح والميدانى وغيرهم ولم يخل كتابه من المباحث الأدبية والآراء النقدية للأدباء • والرواة أمثال الجاحظ والشريف المرتضى والمرزوقى وصاحب الأغانى وغير ذلك.استعان بهؤلاء عندما يتحدث عن شاعر أو معنى بيت وان كان لم يشر الى ذلك الا قليلا •

ولم ينس أن يضمن كتابه كثيرا من أقوال علماء الأصول وآرائهم • أمثال الآمدى والرازى وابن الحاجب وغيرهم •

ولم يفت على السيد الشريف وهو الذى تربى وتثقف ـ ضمن ما تثقف ـ على المنطق والجدل والفلسفة أن يضمن كتابه كثيرا من مباحث وآراء علماء الكلام والفلسفة أمثال النظام والأشعرى وأبو الحسين وأبى هاشم وعباد بن سليمان الضمرى وغيرهم كما استدل بآراء أهل السنة والمعتزلة والظاهرية وغيرهم كما أن شرحه لم يخل من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وأبيات الشعر وأمثال العرب وأقوالهم المشهورة •

ومع كثرة هذه المصادر وتنوعها استطاع الشريف الجرجانى بثقافته الواسعة وذكائه النادر أن يستوعب تلك المصادر بدقة فائقة • وأن يضع ما أخذه منها فى كتابه وضعا محكما لا تناقض فيه ولا تنافر • وكانت شخصيته فى ذلك بارزة وتدل دلالة قاطعة على تمكنه • وذلك فى مناقشاته لأصحاب الآراء أو نقدها أو الاستدلال بها وسنتناول أهم مصادره بشىء من التفصيل مدعمين ذلك بضرب الأمثلة التى تدل على أخذه من المصدر الذى نذكره وذلك كالآتى :

مصادره البلاغية :

اذا نظرنا الى شرح السيد لوجدنا تأثره الواضح بعلماء البلاغة الذين تقدموه وأنه اتخذ من كتبهم التى وضعوها فى البلاغة مصدرا له يعتمد عليه فى شرحه هذا

وعلى الأخص كتب الامام عبد القاهر والزمخشري والرازي وسعد الدين والخطيب.
كما استقى كثيرا من شروح المفتاح بالأخذ من تلك الشروح أو معارضة بعض الآراء المذكورة فيها ، وان كان لم يشر الى ذلك صراحة ، بل تعرفت على بعض هذه الآراء وأرجعتها لمصادرها الأصلية في تحقيق الكتاب ، كما استعان بالمثل السائر ، وقد أشار الى الأخذ منه في موضع واحد ، وهو في التفريق بين الكناية والتعريض ، اذ يقول : قال ابن الأثير في المثل السائر " الكناية ما دل على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز بوصف جامع بينهما وأن تكون في المفرد والمركب والتعريض هو اللفظ الدال على معنى لا من جهة الوضع الحقيقي أو المجازي ، بل من جهة التلويح والاشارة فيختص باللفظ المركب ، كقول من يتوقع صلة : والله اني محتاج ، فانه تعريض بالطلب ، مع أنه لم يوضع له حقيقة ولا مجازا وانما فهم المعنى من عرض اللفظ أي جانبه " . (١)

كما تابعه أيضا في أن قرب مخارج الحروف أو بعدها لا يوجب ثقلا أو خفة في الكلمة ولكن المرجع في ذلك هو الذوق (٢) وان كان لم يشر الى ذلك .

أما بالنسبة للامام عبد القاهر : فقد اعتمد على كتابيه دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة اعتمادا كبيرا ، حيث استشهد برأى الامام عبد القاهر مرارا في شرحه. والمطالع للكتاب يجد أنه لا يخلو منه باب الا وذكر فيه اسم الامام عبد القاهر ومن ذلك على سبيل المثال — لا الحصر — ما ذكره السيد في قول السكاكي في التمثيل بلا العاطفة أو كان المراد رد السامع ... الخ حيث قال : " جوز السكاكي استعمال (لا) في القلب والافراد. وفي دلائل الاعجاز أنها تستعمل في القلب فقط " (٣) وكذلك ما ذكره في تقديم المسند اليه حيث قال " ذكر الشيخ عبد القاهر أنا لم نجد شيئا يجري مجرى الأصل في التقديم سوى العناية ، الا أنه لا يكفي أن يقال قدم للعناية بل لا بد أن يفسر وجه العناية بشيء يعرف فيه معنى ، فلذلك شرع المصنف في بيان وجوه الأهمية ...(٤) الخ

---

(١) المصباح ص ٤٩٠ والمثل السائر ج ٣ ص ٥٦٥١ .
(٢) المصباح ص ٤٩٧ .
(٣) المصباح ص ٨٧ ودلائل الاعجاز ص ٢٢٠ .
(٤) المصباح ص ٩٤ ودلائل الاعجاز ص ٧٤ .

وفى حذف المفعول عند قوله تعالى (ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ٠٠ الآية)(١) قال السيد : " وتقدير المفاعيل فى الأربعة — أعنى يسقون وأخواته — ليس فى تلك النهاية من الوضوح ، لاحتمالها القصد الى نفس الفعل كما ذهب اليه الشيخان ، عبد القاهر وجار الله ، وذلك لأنهما اعتبرا أن المفعول هو الابل والغنم — مثلا — وأحدهما يقابل الآخر ، فلو قدر المفعول وقيل : يسقون ابلهم لأوهم أن ترحم موسى — عليه السلام — كان من أجل أن مسقيهم ابل ومذودهما غنم وليس كذلك ، فانهما لو كانتا تذودان ابلا لهما وكانوا يسقون غنما لهم ، لكان الترحم باقيا بحاله ، والمصنف اعتبر ان المفعول هو الغنم المضافة اليهما والمواشى المضافة اليهم، والتقابل بينهما باعتبار المضاف اليه ، فلو لم يقدر المفعول لفسد المعنى ألا يرى أنهما لو كانتا تذودان مواشيهم وكانوا يسقون غنمهما لم يكن هناك ترحم فلا يصح أن يقال : ان ترحمه كان لأجل أنهما كانتا على الذود والناس على السقى وهذا أدق نظرا ، وأصح معنى " (٢) .

وأما عن أخذه من أسرار البلاغة فهو أيضا كثير ، ومنه ما ذكره بقوله : " قال الشيخ عبد القاهر : تشبيه الربيع بالقادر فى تعلق وجود الفعل ليس هو التشبيه الذى يفاد بكأن والكاف ونحوهما ، وانما هو عبارة عن الجهة التى راعاها المتكلم حين أعطى الربيع حكم القادر فى اسناد الفعل اليه ، وهو مثل قولنا : شبه (ما) بليس ترفع بها الاسم وتنصب الخبر ، فقد ظهر من كلامه هذا أن فى المجاز العقلى تشبيها للفاعل المجازى بالفاعل الحقيقى ، لكنه ليس هو التشبيه الذى ينبنى عليه الاستعارة اذ المقصود الأصلى فى أنبت الربيع — مثلا — هو الاسناد الى الربيع ، لا كونه بمنزلة القادر داخلا فى جنسه بطريق الادعاء كما زعمه المصنف وجعل نسبة الانبات اليه قرينة لذلك الدخول الادعائى فانه ركيك كما لا يخفى " (٣) فهو ها هنا استعان برأى عبد القاهر فى اعتراضه على السكاكى ، وهذا قليل من كثير من آراء عبد القاهر المبثوثة فى ثنايا الكتاب ، وأما عن أخذه من الزمخشرى ، فهو كثير أيضا ولا يخلو

---

(١) من الآية ٢٣ سورة القصص ٠

(٢) المصباح ص ١٧٦ ودلائل الاعجاز ص ١٠٦ والكشاف ج ٣ ص ٣١٧ ٠

(٣) المصباح ص ٤٧٦ وأسرار البلاغة ص ٣٠٥ ٠

فصل من الكتاب من النقل فيه من الكشاف سواء كان هذا بالاشارة الى ذلك الأخذ أو بدونها ، ومن ذلك ما ذكره في الفرق بين الكناية والتعريض حيث قال : قال صاحب الكشاف : " فان قلت أى فرق بين الكناية والتعريض ؟ قلت الكناية أن يذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له ، والتعريض أن تذكر شيئا تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه : جئتك لأسلم عليك ، وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ، ويسمى التلويح لأنه يلوح منه ما يريده " .(١)

ومن ذلك أيضا ما سبق ذكره في قوله تعالى (ولما ورد ماء مدين) .

ومن ذلك قوله : " قال في الكشاف واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل "(٢)
وفي قوله تعالى " وعلى أبصارهم غشاوة " (٣) يقول السيد : " وحمل تنكير غشاوة على التهويل والتعظيم أقضى لحق المقام من حمله على النوعية ، أى على أبصارهم نوع من الأغشية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله تعالى على ما ذكر في الكشاف " .

وقد اعتمد الشارح - مع هذا أيضا - على الكشاف اعتمادا كليا في تفسير الآيات والقراءات الواردة فيها ، وان لم يشر الى ذلك صراحة ، ومن ذلك على سبيل المثال ما ذكره في معنى قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى)(٤) حيث يقول :(وما رميت) أى ما رميت حقيقة (اذ رميت) صورة ، وذلك لأن أثره كان خارجا عن طوق البشر ، روى أنه - صلى الله عليه وسلم - لما التقى الجمعان يوم بدر رمى كفا من الحصباء في وجوه المشركين فلم يبق منهم أحد الا شغل بعينه فانهزموا " وهذا مأخوذ من الكشاف .

وأما عن القراءات فقد ذكر فيها آراء علماء القراءة متابعا للكشاف كما ذكرنا حيث أورد قراءات لكل من أبي حيوة ، وأبى هريرة وابن سيرين وحمزة وعبد الله وغيرهم. وكلها ظاهرة خلال شرحه .

---

(١) المصباح ص ٤٨٩ والكشاف جـ ١ ص ٢١٥ .
(٢) المصباح ص ٢٥٧ والكشاف جـ ٢ ص ٦٩ .
(٣) من الآية ٧ سورة البقرة وانظر الكشاف جـ ١ ص ٨ والمصباح ص ~~١٢٣~~ ٩٢
(٤) من الآية ١٧ سورة الأنفال وانظر المصباح ص ٤٢ والكشاف جـ ٢ ص١٦٢ .

وأما عن الامام الرازى فى نهاية الايجاز فقد استفاد الشارح منه أيضا ، حيث رد عليه فيما اختاره من قوله : انه لا بد لكل فعل من فاعل فى المجاز ، اذ يقول السيد عند قول السكاكى : فلا تجوز فى نحو سرتنى رؤيتك أن لا يكون لكل واحد من هذه الأفعال فاعل فى التقدير ... الخ رد بهذا الكلام على الامام عبد القاهر حيث ادعى أن ليس من الواجب أن يكون للفعل فى المجاز العقلى فاعل فى التقدير ... الخ ثم يضيف الشارح قائلا : ومراد الشيخ أن هذه ، الأمثلة ليس فيها فاعل يصح أن يسند الفعل اليه ، لأن هذه الأفعال كلها مقدرة من فاعل متوهم للفائدة المذكورة ، كما أن المتحقق هناك هو القدوم والصيرورة مع ما قامت هى به.لكن الامام الرازى لم يطلع على مراد عبد القاهر فطعن فيه بأن الفعل لا بد له من فاعل وتبعه السكاكى.وأيده بأن المجاز فرع فلا بد له من أصل " (١) .

وأما عن استفادة الشريف الجرجانى من الخطيب ، فقد اطلع بلا شك على كتبه ، وخاصة الايضاح ، حيث أنه أورد كل ما ذكره الخطيب القزوينى من اعتراضات على السكاكى فى كتابه الايضاح ، ولم يشر السيد الى ذلك صراحة ، بل يورد الاعتراض ويناقشه دون ما ذكر لصاحبه ، وقد أرجعت هذه الاعتراضات الى مصدرها الأصلى كما هو موضح أثناء التحقيق ، والأمثلة على ذلك كثيرة :

منها ما ذكره الشارح فى قوله تعالى (وما أنت علينا بعزيز ..) (٢) حيث يقول : ذهب السكاكى الى أن الآية مما قصد فيه الحصر بتقديم الفاعل المعنوى اذ لو لا قصد التخصيص لم يكن كلامه عليه السلام فى جوابهم مطابقا لمقالتهم.ثم يورد اعتراضا ذكره الخطيب فيقول : واعترض على ذلك بأنه من باب أنا عارف فلا يفيد الاختصاص اتفاقا . لاشتراط افادته بكون الخبر فعلا والتمسك بأن قوله (أرهطى أعز عليكم) (٣) جواب له فوجب مطابقته اياه ضعيف لجواز أن لا يكون جوابا له بل لقولهم (لولا رهطك لرجمناك) اذ يفهم منه بمعونة المقام أن امتناعهم عن رجمه كان لعزة رهطه عليهم لا لخوفهم منه .

---

(١) المصباح ص ٤٧٤ وانظر نهاية الايجاز ص ٥٢ ودلائل الاعجاز ص ١٩٣ .
(٢) من الآية ٩١ سورة هود .
(٣) من الآية ٩٢ من سورة هود .

هذا هو الاعتراض ، ثم ناقش الخطيب فى هذا الاعتراض بقوله : واعلم أن صاحب الكشاف صرح بالتخصيص فى قوله تعالى (كلمة هو قائلها)[١] فكيف يقال : باب أنا عارف لا يفيد الاختصاص اتفاقا ؟ وان جعله جوابا (لما أنت علينا بعزيز) هو الظاهر ، بأن يجعل التنوين للتعظيم فيدل على ثبوت أصل العزة له ـ عليه السلام ـ ولا دلالة لقولهم (لولا رهطك) على اشتراك العزة فلا يلائمه (أرهطى أعز عليكم من الله)[٢] وهكذا يسير فى كل ما يورده من الايضاح على هذا المنهج غالبا دون أن يشير الى المصدر .

وأما عن العلامة سعد الدين التفتازانى ، فالعلاقة بينهما وثيقة ، فقد تربى كما ذكر الرواة على كتبه.ثم جمعتهما الأيام معا عند شجاع مظفر وفى بلاط تيمور . وقد انتزع السيد منه الصدارة كما ذكرنا وناقشه عند تيمور وجادله وتناظر معه وغلبه ، وقد رأينا تأثره به واضحا عندما وضع حاشية على كتاب المطول لينقده فى مواضع عدة منها ثم هو أيضا تتبع شرح سعد للمفتاح ونقده نقدا مرا لاذعا،حيث كان يصدر نقده له غالبا بقوله : خلافا لمن زعم ، أو خلافا لمن وهم ، وقوله وما يتوهم أن الأمر كذا فليس بشىء ، وهو مع هذا استفاد منه فى شرحه فالى جانب هذا النقد كثيرا ما نراه ينقل من كتابى سعد الدين المطول وشرح المفتاح دون ما اشارة الى ذلك مطلقا ، وقد تمكنت والحمد لله أن أرجع اعتراضاته على سعد الدين ونقله منه الى مصادرها الأصلية سواء كانت من المطول أو من شرح القسم الثالث من المفتاح وذلك فى التحقيق ، واعتراضاته على التفتازانى ونقله منه كثير جدا يتخلل كل الكتاب يستطيع القارىء لشرحه أن يدركها جيدا لأنى نبهت على ذلك فى كل موضع من التحقيق،وهى تفوق الحصر والضبط ، ومنها على سبيل المثال قوله فى حديثه عن الجامع : وما يتوهم من أنه أراد بالجامع العقلى ما يدرك بالعقل من الكليات وبالجامع الوهمى ما يدرك بالوهم من المعانى الجزئية وبالجامع الخيالى ما يكون صورة مرتسمة فى الخيال ، فليس بشىء ، وهو بهذا ينقد ما قاله سعد الدين فى شرحه للقسم الثالث[٣] ومن أمثلة نقل السيد من التفتازانى،ما ذكره فى التغليب من قوله فى الآية الكريمة (وما ربك

---

(١) من الآية ١٠٠ سورة المؤمنون .

(٢) انظر المصباح ص ١٨٠ والايضاح جـ ١ ص ٦٢ .

(٣) أنظر المصباح ص ٢٢٦ وشرح سعد الدين الورقة ١٤٤ .

بحافظ عما تعملون)[١] فانه لا يجوز ههنا اعتبار خطاب من سواه - عليه السلام - بلا تغليب لا متناع أن يخاطب في كلام واحد اثنان أو أكثر من غير عطف أو تثنية أوجمع. وهذا الكلام بنصه ذكره سعد الدين في كتابه المطول[٢] ، والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة في الشرح كله ، هذا وبمراجعة مآخذ السيد على سعد الدين في حاشيته على المطول وجدت أن هذه الاعتراضات كلها قد استوفاها السيد مرة ثانية في شرحه للمفتاح بل وزاد عليها ، ومن ثم لم انقل شيئا منها ههنا لأنها قد نبه عليها جميعا في التحقيـــق .

ومن مصادر الشارح أيضا مفتاح المفتاح للعلامة قطب الدين الشيرازي فقد استفاد منه السيد في شرحه ونقل منه في بعض المواضع ، ولم يشر الى ذلك بل نقده في مواضع عدة بدون اشارة أيضا ، وقد وضحت هذا في التحقيق ومن ذلك - مثلا - قولـــه : " ومن قال فائدة الخبر استفادة الحكم ، ولازمها استفادة كون المتكلم علما ، فقــد فسر الكلام بما لا يرتضيه صاحبه " وهذا القول ذكره الشيرازي في شرحه للقســـم الثالث من المفتاح .[٣]

كما نقده أيضا في عده علم البديع داخلا في تعريف علم المعاني[٤] ،

واستفاد السيد أيضا من ناصر الدين الترمذي ،وقد نقده في مواضع من كتابه. ومـــن ذلك ما ذكره في تعريف المسند اليه بالموصولية عند قول السكاكي : أو أن تومـــئ بذلك الى وجه بناء الخبر الذي تبنيه عليه ... الخ حيث يقول السيد / وقد فســـر الوجه بعلة انتساب الخبر الى المسند اليه نظرا الى ظاهر المثالين فورد أن الوجـــه بهذا المعنى لم يوجد في بعض الأمثلة المتفرعة على الايماء .

وهذا التفسير أورده سعد في شرحه ونقده وذكر في حاشية الشرح أنه للترمذي .[٥]

وأيضا استفاد من شرح المؤذني للمفتاح ونقده في موضعين مـــن شرحه ولم يشـــر الى ذلك ، ومن ذلك قوله : " وتوهم بعضهم أن موضوع علم البيان الـــدلالات المختلفة في مراتب الوضوح ليظهر كون معاقده مضبوطة في فصله كضبط معاقد علـــم

---

(١) من الآية ٩٣ سورة النمل . (٢) انظر المطول ص ١٦٠ والمصباح ص ٢٠٢

(٣) مفتاح المفتاح للشيرازي . الورقة ٣٢ والمصباح ص ٢٦ .

(٤) انظر المصباح جـ ٥ ومفتاح المفتاح . الورقة ٢٧ .

(٥) انظر المصباح ص ٦٤ .

المعانى فى فصله ، وليس بشىء ، وهذا القول ينسب الى الشارح الموءذنى ،(١)
هذا ، والآراء المنقولة من البلاغيين فى شرح السيد كثيرة جدا ولم يعين هو أصحابها وقد عينت بقدر الامكان أصحاب هذه الآراء بالرجوع الى كتبهم الموجودة ، وأما عن مصادر السيد اللغوية ، فقد استعان فى شرحه بآراء علماء اللغة كثيرا عند شرحه لمعانى الأبيات أو الكلمات الغريبة واشتقاقها ، ويعتبر كتاب الصحاح للجوهرى مصدره الأساسى فى تفسير الكلمات . وقد أشار السيد الى الأخذ من الصحاح فى مواضع عديدة ، وأما بقية المواضع فلم يشر فيها الى أخذه وان كان ناقلا منه ، كما استدل أيضا بآراء أبرز اللغويين أيضا أمثال أبو عبيد اذ يقول : قال أبو عبيد لا تكون المزادة الا من جلدين تغام بثالث ليتسع وجمعها المزاد والمزائد ... الخ (٢)

وكذلك أخذ من ابن السكيت فى كتابه اصلاح المنطق . حيث يقول : يقال أمحل البلد اذا انقطع مطره فيبس أرضه من الكلأ فهو ماحل ، قال ابن السكيت : ولم يقولوا ممحل ، وربما جاء ذلك فى الشعر . (٣)

وأيضا أخذ من معانى القرآن للفراء ، اذ يقول : قال الفراء فاصدع بالأمر أى أظهر دينك . (٤)

كما أخذ من شريح اذ يقول : " الزعم اشتهر فى الكذب ومنه قوله -عليه السلام- زعموا مطية الكذب ، وقال شريح : لكل شىء كنية وكنية الكذب زعموا " (٥) .

وأما عن أخذه من الصحاح فهو كثير ومنه قوله : " قال فى الصحاح هداه الله هدى ، وهدى واهتدى بمعنى " . (٦)

مصادر الشارح النحوية :

أما عن مصادره النحوية فهى كثيرة ومتنوعة ، وكلها تظهر بوضوح فى ثنايا كتابه فقد ضمن الشارح كتابه تحقيقات نحوية كما استشهد بآراء أشهر النحاة وأشهر المذاهب

---

(١) انظر المصباح ص ٣٤٧ . (٢) المصباح ص ٤١٩ .
(٣) انظر اصلاح المنطق ص ٣٦٢ والمصباح ص ٤٨٨ .
(٤) انظر المصباح ص ٤٦٤ ومعانى القرآن للفراء جـ ٢ ص ٩٣ .
(٥) المصباح ص ٢٤٢ . (٦) المصباح ص ٢٦٥ .

كمذهب الكوفيين والبصريين ، واستشهد أيضا بلغات القبائل مثل لغة تميم وغيرها ويعتبر كتاب سيبويه والمفصل للزمخشري وشرح المفصل لابن الحاجب ، وكتابي المبرد الكامل والمقتضب من أهم مصادره ، والأمثلة على ذلك كثيرة .

ومن ذلك على سبيل المثال قوله : " وما رواه سيبويه من قول أهل المدينة ظننت رجلا هو خيرا منك بنصب خيرا ولم يستحسنه ، فقد نسبه أبو عمرو الى اللحن " (١) وآراء سيبويه كثيرة في المصباح .

ومن ذلك قوله في تعدد الخبر : " ألا يرى أن ترك الواو في حلوحامض أولى من ادخاله الذى جوزه أبو على " (٢)

وأما عن المبرد فقد أورد آراءه في عدة مواضع ، ومنها ما ذكره في بل ، اذ يقول : " واذا كان ما قبل بل منفيا فهى عند المبرد تدل على صرف ذلك النفى عن الأول وجعله في حكم المسكوت كما في حكم الاثبات بعينه ، وعند الجمهور تدل على ثبوت المسند للثانى وكون الأول في حكم المسكوت ، فلا صرف للحكم على مذهبهم ، فكأن السكاكى اختار رأى المبرد " (٣) .

ومن ذلك أيضا قوله : " وتجويز الكسائى حذف فاعل الفعل في تنازع العاملين مردود " (٤) وفى كون التقديم مفيدا للاختصاص يقول : " قال الشيخ ابن الحاجب وما يقال انه للحصر فلا دليل عليه " . (٥)

وممن ورد ذكرهم في الشرح أيضا المازنى والزجاج والأخفش وأبى سعيد السيرافى وعلى بن عيسى الربعى وغيرهم وقد بينت كل ذلك وأرجعته الى مصادره في التحقيق .

وأما عن مصادره الأدبية والنقدية : فهى أيضا كثيرة ومتنوعة ، فقد استفاد من شرح ديوان الحماسة للمرزوقى وشرح سقط الزند للتبريزى ، كما أخذ من الميدانى والأغانى ودواوين الشعراء ، وأمالى المرتضى ، وضمن كتابه أقوال الجاحظ في الحيوان والبيان والتبيين ، وكذلك استفاد من كتب الأدب الأخرى وان لم يشر الى

---

(١) انظر المصباح ص ٣٠ وكتاب سيبويه جـ ١ ص ٣٩٧ .
(٢) المصباح ص ٥٧ .
(٣) انظر المصباح ص ٨٧ والمقتضب جـ ١ ص ١٢ وجـ ٣ ص ٢٨٩ .
(٤) المصباح ص ١٦٨ .
(٥) المصباح ص ٢٩٤ .

ذلك كثيرا ، واليك بعض الأمثلة على ذلك :

منها ما ذكره فى قول الشاعر : زعمتم أن اخوتكم قريش .. البيت حيث يقول :

" قال المرزوقى : رد الشاعر على بنى أسد فى انتسابهم الى قريش بالقرابة بأن لهم ايلافا فى رحلة الشتاء الى اليمن وفى رحلة الصيف الى الشام للتجارة وليس لكم شىء من هاتين الرحلتين ، وأيضا قد آمنهم الله من الخوف والجوع وأنتم خائفون جائعون " (١)

وقد أشار السيد الى أخذه من شروح سقط الزند فى موضع واحد عند قول الشاعر والذى حارت البرية فيه حيوان .. البيت اذ يقول : " قال التلميذ فى تنوير السقط المراد حيرة الناس فى خلقة آدم — عليه السلام — من الجماد الذى هو التراب وقد يقال : أراد حيرتهم فى حشر الأجساد ، لأن البيت من قصيدة يرثى بها فقيها حنفيا (٢)

وفى توضيحه لمعنى صياغة الكلام يقول : " الصياغة هى الصنعة المعروفة ، شبه تأليف الكلام بترتيب كلماته متناسقة الدلالات على حسب الأغراض المقصودة منه بصياغة الحلى ، ومنه قول الجاحظ : الشعر صياغة وضرب من التصوير " (٣) .

ومن ذلك أيضا قوله : " قال الشريف المرتضى : ان بشارا كان مقدما فى الشعر جدا حتى ان كثيرا من الرواة يلحقه بمن قبله من المجودين " . (٤)

والأمثلة على أخذه من كتب الأدب والنقد وشروح الدواوين كثيرة ومتنوعة وقد بينت مصادرها فى تحقيق الكتاب كل فى موضعه .

أما عن أخذه من كتب الأصول :

فهى أيضا ظاهرة فى كل أبواب الكتاب ، وهو يشير فى بعض المواضع الى من أخذ منهم . وفى البعض الآخر يكتفى بقوله : قال بعض الأصوليين .. وهكذا ، ومن الشواهد على ذلك ما ذكره عن الامام الرازى فى حديثه عن (انما) حيث قال : " ذكر فى المحصول أن كلمة (ان) للاثبات و(ما) للنفى ، فاذا اجتمعتا لم تتوجها الى واحد للزوم التناقض ، فوجب أن تتوجه احداهما الى المذكور

---

(١) المصباح ص ٢٤٢ وشرح ديوان الحماسة للمرزوقى ج ٣ ص ١٤٤٩ .
(٢) المصباح ص ٦٦ وانظر شرح التنوير على السقط ج ١ ص ٢٨٥ .
(٣) المصباح ص ٩ والحيوان ج ٣ ص ١٣٢ .
(٤) المصباح ج ٤٤ وأمالى المرتضى ج ١ ص ١٤٠ .

والأخرى الى غير المذكور ، وانما تعين كلمة (ان) للمذكور لكونها أسبق وبالمحافظة عليها أحق لكونها للاثبات الذى هو أشرف ، لكن يلزم مما ذكره بطلان صدارة (ما) وتوالى حرفى الاثبات والنفى ثم تعقيبهما بالمثبت فقط وجواز اعمال (ما) فى انما وكل ذلك فاسد كما ترى ، بل قد علم فى النحو أنها كافة " (١)

وأخذ من كتاب الاحكام للآمدى ، اذ يقول : " فهم من كلام بعض الأصوليين أن لفظ القرية بعد حذف الأهل صار مجازا ، فان لفظ كمثل مستعمل بمعنى مثل وانهم يسمون مثل ذلك مجازا بالنقصان والزيادة " (٢)

ومن استشهاده بآراء علماء الأصول أيضا قوله : " الاسناد الى غير ما هو له فرع لتحقق ما هو له ، وأما تحقق الاستعمال فى المعنى الموضوع له فليس بواجب كما اشتهر فى أصول الفقه " والأمثلة كثيرة :

وأما عن أخذه من المتكلمين فيمكن القول بأنه اعتمد على آرائهم فى أكثر المواضع من كتابه ، مستدلا بها ، أو معارضا لها ، أو موضحا لبعض المسائل البلاغية ، فنراه يورد اسم النظام والأشعرى وأبى الحسين وأبى هاشم وأيضا استشهد بآراء أهل السنة والمعتزلة والظاهرية والبهشمية وغيرهم ، ومن الأمثلة الدالة على ذلك : قوله " فالصواب ما ذكره أبو الحسين من أن الصفة تعلم — تبعا — لا أصالة — " (٣)

وأيضا قوله : " اعتبر السكاكى فى الأمر الاستعلاء كما هو مذهب أبى الحسين دون العلو الذى اعتبره جمهور المعتزلة " (٤) وقوله " تقرر فى علم الكلام أن وجوب الوجود يدل على الوحدانية " (٥) وقوله : " الثابت والمتحقق والموجود كلها الفاظ مترادفة عند السكاكى خلافا لجمهور المعتزلة " (٦)

كما استشهد بمذهب المعتزلة فى غفران الكبائر ومذهبهم فى الأمر ، وبمذهب الأشاعرة فى قبول التوبة ، ومن ذلك قوله : " احباط الطاعة بالكبيرة مذهب طائفة من المعتزلة " (٧) .

---

(١) المصباح ص ٢٩٢ وانظر المحصول للرازى ج ١ ص ٢١١ مخطوط بمكتبة الأزهر برقم ٢١٤٧ .
(٢) المصباح ص ٤٦٦ والاحكام ج ١ ص ٦٣ .
(٣) المصباح ص ٨٠ .
(٤) المصباح ص ٣٣١ .
(٥) المصباح ص ٢٧٥ .
(٦) المصباح ص ٣١٩
(٧) المصباح ص ٢٧٤ .

ومن ذلك أيضا قوله : " يجب عموم علمه تعالى للمفهومات كلها لأن نسبة ذاته الى الكل على سواء "[١]

وفي قوله تعالى (ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم)[٢] يقول : " وقبول التوبة لازم لها لزوما عقليا على مذهب السكاكي في التحسين والتقبيح العقليين ، وأما عند الأشاعرة فلا لزوم عقليا ، بل علم شرعا أن الله تعالى بفضله يقبل التوبة عن عباده ، فلذلك قال ههنا فلن يكون أي فلن يثبت قبول توبة ، تنبيها على أن عدم قبولها فرع لعدمها " .[٣]

هذه بعض أمثلة من استعانته في شرحه بآراء علماء المنطق وعلم الكلام والجدل والفلسفة والكتاب ملىء بها .

بقى أن نقول : أن السيد ههنا لئن كان مستعينا بالمنطق والفلسفة في شرحه وهو أمر يخرج بالمسائل البلاغية عن نطاق الذوق والجمال ، لكن على ما يبدو أن للشارح بعض العذر في ذلك لأنه يشرح قسما من كتاب السكاكي ومعلوم أن السكاكي من هو بالنسبة للفلسفة والمنطق والجدل ؟ فقد ضمن كتابه الكثير من ذلك ، ومن ثم فقد يكون الشارح مضطرا الى هذا لأنه ملتزم في الشرح بكلام السكاكي ولا محيد له عنه ، ومع هذا فالكتاب لم يخل من اللمسات الذوقية والجمالية .

* * *

(١) المصباح ص ٢٧٣ .
(٢) من الآية ٩٠ سورة آل عمران .
(٣) المصباح ص ٢٧٣ .

منهج السيد الشريف في كتابه المصباح :

اذا نظرنا الى مقدمة الشارح أمكننا أن نقف على منهجه الذى حدده لنفسه فى هذا الكتاب ، وان كنا لن نكتفى بذلك ، بل لا بد لنا من تصفح للكتاب وأبوابه لنتعرف على المنهج الذى سار عليه بغض النظر عما رسمه هو لنفسه ، فقد يكون مبالغا بعض الشىء فى الاشادة بكتابه وما احتواه ، وسوف أذكر أولا ما رسمه لنفسه فى المقدمة ثم استعرض المنهج الذى سار عليه فى نقاط موجزة مدعما ذلك بضرب الأمثلة ، وذلك من خلال دراسة الكتاب ٠

تحديد السيد لمنهجه :

ذكر فى المقدمة أنه يريد أن يضع للمفتاح شرحا " يذلل صعابه ويميط عن مخدراته نقابه ، أنقد فيه نتائج الأفكار ، وأضع فيه خزائن الأسرار " ثم نراه يتحامل على الشروح التى سبقت شرحه بنقدها نقدا لاذعا اذ يقول : أن الناس " كانوا متكئين على شروح أكثرها جروح ، وأمثلها مدخول ومجروح ، لا ترى فيها لعليل شفاء ولا لغليل دواء " ثم يذكر أنهم لما طلبوا منه أن يضع لهم هذا الشرح أخذ " يملى عليهم ما ينجيهم عن الضلال ، ويحظيهم بأجزل نوال ، فى عبارات موضحة بلا املال واشارات مونقة بلا اخلال ، تشيد فيه قواعد الفوائد ، ونمهد فيه موائد العوائد معرضين عما لا طائل فى رده ، ولا حاصل فى نقده ، ومقتصرين على تلخيص الصواب وتمييز القشر من اللباب ، هدية منى الى كل ذكى جبل على الانصاف طبعه " (١)

ومن ثم يمكن أن نقول أنه الزم نفسه فى شرحه هذا بما يأتى :

١ — تذليل صعاب القسم الثالث من مفتاح العلوم وتوضيح ما خفى من عباراته ومسائله مع تضمين الكتاب كل ما لديه من أفكار وما ملكه من معرفة وذكاء ، وقد التزم بهذا فعلا حيث استطاع أن يوضح العبارات ويوجهها ، ولم يبخل فى ذلك بشىء من معارفه وثقافته ، سواء كان ذلك فى مجال البلاغة أو الأدب والنقد أو كان غير ذلك كالمسائل النحوية واللغوية ، بل والأصولية والفلسفية ٠

---

(١) مقدمة المصباح ٠

٢ ـ وضوح العبارة من غير تطويل ممل ولا اختصار مخل ،وهذا الأصل قد التزم بـه أيضا فى الغالب ، وان كان يستطرد أحيانا فى ذكر مسائل كلامية أو أصوليـة

٣ ـ ترك الأمور التى لا فائدة للخوض فيها ، وقد التزم ذلك أيضا ، حيث نـراه يعرض عن أشياء بقوله : وهذا مما لا طائل تحته ، أو قوله : " وهذا مما لا يهمنا الآن ".

٤ ـ ابراز ما هو صواب من المسائل وتلخيص ذلك مع تمييز الأصل من غيره .

وقد التزم بذلك أيضا ، فنراه كثيرا ما يلخص كلام السكاكى أو يلخص النكات والمسائل بعد توضيحها ، وأيضا أورد اعتراضات كثيرة على السكاكى وأيد من هذه الاعتراضات ما يراه حقيقا بالتأييد وفند ما رآه حقيقا بالتفنيد ، كما أنه وجه انتقادات كثيـرة لآراء شراح المفتاح من قبله خاصة سعد الدين .

٥ ـ الالتزام بالانصاف فى الحكم على القضايا والمسائل ، وهذا الأصل وان كـان قد التزم به أيضا ـ لكنه خرج عليه فى تحامله المستمر على سعد الدين التفتازانـى وتفنيد معظم آرائه ، وهو مع هذا التحامل كثيرا ما ينقل من عبارة سعد الديـن ويستفيد منه فى شرحـه .

أما عن كيفية سيره فى شرح الكتاب :

فقد لمست خلال دراسته الأمور الآتية :

١ ـ توضيح عبارات السكاكى وشرحها لغويا حسب مادة الكلمة مع توجيه العبـارة توجيها يتلاءم مع ما يقصده السكاكى بكلامه وابراز ما فى هذا الكلام من نكات ضمنا ذلك اعراب العبارات فى الغالب وهو فى كل ذلك مؤيدا أو معارضـا أو ناقدا أو ذاكرا أبحاثا وغيرها ، متبعا فى ذلك طريقة : قال كذا .. أقول كذا ، أو قوله كذا .. ثم يشرح ، وسأورد هنا فقرة من الكتاب توضح طريقتـه تلـك .

قال السكاكى فى أضرب الخبر : " واذا ألقاها ـ الجملة ـ الى طالـب لها متحير طرفـاها عنده دون الاستناد فهو منه بين بين لينقذه عن ورطـة

الحيرة استحسن تقوية الحكم " يقول السيد في شرح هذا الكلام : " أقول أى اذا ألقى الجملة الخبرية الى طالب لها متحير فيها ، وقوله (طرفاها) مبتدأ خبره (عنده) و(دون) ظرف وقع حالا من المستتر في (عنده) أى متجاوزين الاستناد فانه ليس عنده ، وقوله (فهو) مبتدأ خبره (بين بين) أى بين الاثبات والنفي وهذه الجملة مع ما عطفت هى عليهما — أعنى جملة طرفاها عنده دون الاستناد — صفة كاشفة لقوله (متحير) وضمير (منه) للاستناد .

والمعنى : فهو حاصل في محل من الاستناد كائن بين بين ، واللام في (لينقذه) متعلقة بألقى ، أى لينقذ المتكلم المخاطب كما يقتضيه مساق الكلام بظاهره ويؤيد ، قوله في القسم الانكارى (ليرده الى حكم نفسه) أراد لينقذ حكمه المخاطب ، والورطة : الهلاك ، وأصلها الأرض المطمئنة لا طريق فيها وقوله : (استحسن) جواب (اذا) وفى ايثاره على وجب تنبيه على الفرق بينه وبين أدنى مراتب الانكار ، اذ هناك يجب التأكيد ، وههنا يستحسن ، لأن المانع ضعيف جدا "(١)

وهكذا يسير في شرحه على هذا النهج .

٢ — ذكر الاعتراضات التي وجهت الى السكاكي ونقد عبارته :

ومن طريقته في الشرح أن يذكر الاعتراضات التي وجهت الى السكاكي في مواضعها ثم يوضح هذه الاعتراضات ، ويذكر ما أجاب به العلماء على هذه الاعتراضات في الغالب ثم هو اما أن يؤيد الاعتراض أو ينفي هذا الاعتراض ويفنده ذاكرا في ذلك سبب التأييد أو التفنيد ، وأيضا كثيرا ما يوجه النقد الى أجوبة العلماء على هذه الاعتراضات ، ويختار غيرها ، ثم هو — مع ذلك — كثيرا ما ينقد عبارات السكاكي ويوجهها ، ذاكرا أن الأولى أن يقول كذا .

والأمثلة على ذلك كثيرة ومتنوعة ، وسأضرب أمثلة توضح هذا .

من ذلك ما ذكره في الرد على الخطيب من قوله : ان السكاكي لم يفرق بين التعظيم والتكثير(٢) اذ يقول : " لكن لا سبيل الى جعل التنكير في (رضوان من الله)(٣)

---

(١) انظر المصباح ص ٣٨ . (٢) الايضاح ج ١ ص ٤٧ .

(٣) من الآية ٧٢ سورة التوبة .

للتحقير بل هو للتقليل الذى يقابل التكثير كما صرح به ، حيث فسره بقدر يسير من رضوانه وكأنه لما كان التقليل مستلزما للتحقير غالبا جعله مقابلا للتعظيم والتهويل تقال أولا (ولخلاف ذلك) وفسره بمجرد التقليل كما عرفت ، وقال ثانيا (واما لخلافه أى لخلاف التهويل ، وفسره به أيضا حيث قال :(نفيا ن من عذاب الرحمن) أى قدر يسير منه ، وبالتأمل الذى ذكرناه يندفع ما قيل : من أنه لم يفرق بين التعظيم والتكثير ، وبين التحقير والتقليل مع ظهور الفرق ، لأن التعظيم والتحقير بحسب المنزله والرتبة ، والتكثير والتقليل بحسب العدد والكمية[1] فهنا أورد الاجابة على السوءال بتوجيه عبارة السكاكى ثم أبطل الاعتراض مع ملاحظة أنه لم يبين من هو المعترض ، بل ذكره بقوله (يندفع ما قيل) ،

ومن ذلك أيضا ما ذكره فى الآية الكريمة (وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى)[2] حيث قال : " واعترض عليه بأن الهداية المذكورة — أعنى الدلالة الى ما يوصل الى المطلوب — ليست مخصوصة بثمود ؟ هذا هو الاعتراض ثم أورد اجابة بعض العلماء عليه وهو سعد الدين بقوله : " وأجيب بأن المخصوص هو الهداية مع ما عطف عليها من استحبابهم العمى على الهدى[3] ولم يرتض هذا الجواب ، بل عقب عليه بقوله :والصواب أن تقدير الكلام مهما يكن من شئ فهدينا ثمود فوضع كلمة (أما) موضع حرف الشرط وفعله ، وقدم شئ مما فى حيز الفاء — أعنى ثمود — عليها ليكون فاصلا بين الحرفين وكالعوض من الشرط المحذوف ، وليدل على أن المقصود بيان حال الاسم الواقع بعد (أما) أعنى ثمود مثلا — فالتقديم ههنا لهذه الفوائد — لا لقصد التخصيص — الذى لا يلائم الآية ، وما ذكر من الاعتذار تكلف ، ويوءيد ما ذكرناه أنك اذا قلت جاءنى زيد وعمرو ، فقيل لك : ماذا فعلت بهما ؟ تقول أما زيدا فضربت وأما عمرا فأكرمت بلا قصد الى تخصيص ففى قراءة النصب تأكيد اثبات الهداية لهم وتحقيقه بالتكرير وبكلمة أما ، وأما على قراءة الرفع فيتقوى الحكم بتكرر الاسناد ويتأكد بما فى (أما) من الدلالة على اللزوم والتحقق ، [4]

وهكذا نجده يورد الاعتراض ثم جواب سعد عليه ثم ينقد هذا الجواب ، ويذكر

---

(١) انظر المصباح ص ٩٣ ، (٢) من الآية ١٧ سورة فصلت ،
(٣) انظر شرح سعد للمفتاح ، الورقة ١٠١ والمطول ص ١٩٩ ،
(٤) انظر المصباح ص ١٦٤ ،

رأيه هو وما يراه صوابا مدعما ذلك بالتعليل والتوجيه للعبارة .

ومن نقد السيد للسكاكي ما ذكره في باب الفصل والوصل في قوله تعالى : (وامتازوا اليوم أيها المجرمون)(١) فبعد أن قرر ما أراده السكاكي فيها وبين وجهة نظره يقول : هذا تقرير الكلام على الوجه الأتم الأبلغ ولا يخفى عليك ما فيه من التعسف فالوجه في الآية أن تجعل من عطف القصة على القصة . وهذا عطف لما يذكره السكاكي ولم يتنبه له الجامدون على ما صرح به في كتابه من عطف المفردات وعطف الجمل . وقد ذكره العلامة في الكشاف حيث قال : " وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما يعطف الجملة على الجملة " . (٢)

ومن نقد السيد لعبارات السكاكي ما ذكره بقوله : قوله مركبة . وهو خبر ثان لكان . فيه مسامحة . والظاهر أن يقال : مركبتين حالا من ضمير منهما . أو يقال : مركبة من هما ومن لا وما . (٣)

ومن ذلك قول السيد : ولو قال من غير التعرض لكونه حقيقة أو مجازا كما ذكره في المسند اليه لكان أظهر في كونه وظيفة بيانية (٤) والأمثلة على هذا كثيرة يراها الناظر في الكتاب بوضوح .

٣ — منهج السيد الشريف في نقد الآراء :

عندما نطالع كتاب المصباح نجد أن السيد قد التزم فيه بنقد الآراء التي لم يرتضها بطريقة تتسم في الأعم الأغلب بطابع التقليل من شأن أصحاب هذه الآراء حيث يعتبرهم دائما اما أن يكونوا زاعمين فيما ذهبوا اليه واما أن يكونوا واهمين أو يعبر عن بعض هذه الآراء والاتجاهات بأنها ليست بشيء . أو يطلب من القارئ عدم الالتفات الى هذه الأقوال حيث لا طائل منها .

وما كان يليق بشارحنا وهو الفاضل صاحب الصدارة أن يجرح آراء غيره هذا التجريح ويعرض بهم هذا التعريض . ولكن ليس هذا غريبا منه فقد رأيناه في صدر كتابه يجرح الشروح كلها ويذكر أنها كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ويبدو أن الدافع

---

(١) من الآية ٥٩ سورة يس .
(٢) انظر المصباح ص ٢٣٦ .
(٣) المصباح ص ٣٢٤ .
(٤) المصباح ص ٢٩ .

له على ذلك هو اعتزازه بنفسه واغتراره بثقافته وعلمه وسنذكر هذا في مكان آخر .

والأمثلة على نقده هذا كثيرة ومتنوعة وهو فيها أيضا لم يعين قائليها قط بل يذكرها مسبوقة بقوله : ومن زعم كذا ، أو خلافا لمن وهم ، أو ولا تلتفت الى ما يقال كذا ... الخ وقد تمكنت من تعيين معظم هذه الآراء وأرجعتها لمصادرها في التحقيق ومن ذلك : ما ذكره عند قول السكاكي : " وأعنى بخاصية التراكيب ما يسبق منه الى الفهم عند سماع ذلك التركيب جاريا مجرى اللازم له ... الخ "(١) حيث بين مراد السكاكي من هذا ثم نقد ما ذهب اليه سعد الدين في شرحه للمفتاح بقوله : " وما يقال من أن اللازم هو خاصية الأمثال أو خاصية ما أخرج على مقتضى ظاهر الحال وهو مثل التعجب السابق في قوله تعالى (كيف تكفرون بالله)(٢) أي مع وضوح الآيات فمما لا يعتد به أصلا اذ كلها خواص خطابية مبنية على اعتبارات الفية كما لا يخفى على ذي مسكة " .

وفي قول السكاكي " يقلبون القضية مع المنكر اذا كان معه ما اذا تأمله ارتدع يقول السيد : " وقد يتعسف فيقال (ما) عبارة عن العقل ، أي مع المنكر العقل الذي اذا تأمل به ارتدع ، فحذف الجار وأوصل الفصل " وهذا نقد للشيرازي ،(٣) ومن ذلك أيضا قوله : " وما يتوهم من أن الفصل قد يفيد تخصيص المسند اليه بالمسند أو تأكيد تخصيصه به فليس بثبت " وهذا نقد لسعد الدين ،(٤)
وهكذا يسير على هذا النهج في نقده ،

٤ — وضع الأسئلة الافتراضية والاجابة عليها :

ومن طريقة الشارح أيضا في كتابه أن يقوم بوضع الأسئلة والأجوبة عليها. وهذا كثير وشامل لمعظم فصول الكتاب ومسائله . وذلك في المواضع التي يشعر فيها بأن المقام مقام مساءلة ونقاش ، فيتخيل أن السامع غير مقتنع بكلامه فيضع أسئلة لما يتصور،

---

(١) انظر شرح سعد للقسم الثالث من المفتاح . الورقة ٦/ .
(٢) من الآية ٢٨ سورة البقرة .
(٣) انظر المصباح ص ٤٧ وشرح الشيرازي للمفتاح ، الورقة ٣٢ .
(٤) المصباح ص٨٨ وشرح سعد الدين . الورقة ٥٨ .

عالقا بذهن المخاطب ويجيب عليها ، حتى لا يكون هناك مجال بعد ذلك لأى تساؤل ينشأ على ما ذكره ، وحتى لا يستدرك أحد عليه .

والشارح ليس بدعا فى هذه الطريقة ، فقد سبقه اليها الكثير من أصحاب الشروح والمصنفات فى شتى العلوم ، والظاهر أنه هنا قد حذا حذو العلامة سعد الدين فى كتابيه المطول وشرح القسم الثالث من المفتاح ، لأن كثيرا من هذه الأسئلة وأجوبتها نقلها الشارح من سعد الدين بعينها ، مع تصرف أحيانا فى العبارة ، واليك أمثلة تدعم هذا :

من ذلك قوله : لا يقال اذا كان مقتضى الحال ما ذكر وقد وجب على البليغ رعايته ، كان الصادر عنه كأصوات الحيوانات ؟ هذا هو السؤال الذى وضعه ، ويجيب بقوله : لأنا نقول : اذا كان المخاطب ممن لا يفهم الا أصل المعنى لزمه أن يخاطبه بما يناسبه لكنه مع ذلك — يقصد بكلامه معنى زائدا يفهمه سامع آخر ، فهو تجريد عن الخواص رعاية لمقتضى الحال . وبذلك يرتقى عن منزلة تلك الأصوات ، (١)

ومن ذلك قوله : " فان قلت : كيف يتصور ترتب السبب على المسبب بالفاء (٢) مع أن الواقع ترتبه على السبب ؟ قلت : من حيث أن ذكر المسبب يقتضى ذكر سببه " ويستمر على ذلك فى شرحه لأغلب المسائل .

٥ — ومن طريقته فى تقرير بعض المسائل طريقة البحث :

كثيرا ما يقرر بعض المسائل مسبوقة بعبارة وههنا بحث ، ويورد كلام السكاكى ثم يورد ما فيه من أمور تحتاج الى التقرير متبعا ذلك بالأقوال حول المسألة المبحوث فيها ثم يختار ما يناسب المقام .

مثال ذلك : قال السكاكى عند تعريفه للحقيقة " فان الكناية تستعمل فيراد بها المكنى عنه فتقع مستعملة فى غير ما هى موضوعة ... الخ " يقول السيد : وههنا بحث ، وهو أن الموضوع له اذا لم يكن مقصودا أصليا فى الكناية لم يكن مستعملة فيه كما سيصرح به فلا تندرج الكناية فى حدود الحقيقة أصلا ، ويكون تقييده فيما سيأتى للحقيقة

---

(١) المصباح ص ١٣ . (٢) المصباح ص ٤٦ .

بالتى ليست بكناية لغوا ؟

ويمكن أن يجاب عنه : بأنه صرح فى آخر بحث الكناية بأن اللفظ اذا استعمل فاما أن يراد به معناه وحده ، وهو الحقيقة — أى التى ليست بكناية — أو يراد به غير معناه وحده ، وهو المجاز ، أو يراد به معناه ومعنى معناه معا وهو الكناية.وعلى هذا يقال : الكناية مستعملة فى مجموع المعنيين وذلك ظاهر ، ويقال أيضا انها مستعملة فى كل واحد منهما لكونه داخلا فى الغرض الأصلى ، ولا استحالة فى كون أحد جزئى الغرض الأصلى وسيلة الى الجزء الآخر ، فبهذا الاعتبار يدخل الكناية فى حد الحقيقة ويحسن تقييد الحقيقة بالتى ليست بكناية ،

هذا وأنت تعلم أنه قد لا يقصد بالكناية معناها الموضوع له أصلا كما فى قولك لمن لا نجاد له : انه طويل النجاد ، قصدا الى طول قامته " (١) وهكذا فى مواضع أخرى ،

٦ — كيفية الأخذ من المصادر :

اذا نظرنا الى كيفية أخذه من المصادر التى نقل عنها أو الى ذكره للآراء التى استعان بها فى شرحه أو نقدها وعارضها نجد أن معظم هذه المصادر لم يعينها الشارح ، بل وفى الغالب لم يعين صاحب الرأى ، الا آراء الامام عبد القاهر وبعضا من آراء الزمخشرى ولم يعين اكثر آرائه ، مع أن تفسيره للآيات مأخوذ منه ، وكذلك عين معظم أصحاب الآراء النحوية والأدبية والأصولية واللغوية ، أما عن نقله من كتب السعد التفتازانى والايضاح وبقية شروح المفتاح الأخرى ، فانه لم يشر اشارة واحدة الى النقل من هذه الكتب أو ذكر اسم صاحب الرأى المنقول أو المنقود مع أنه اعتمد على تلك الشروح اعتمادا كليا ، بل يوردها مسبوقة بكلمة قد يقال ، وما يقال ، وأيضا نراه اعتمد فى شرح اللغويات على الصحاح للجوهرى ، وأشار الى ذلك فى بعض المواضع فقط ، وكل هذا سبق ذكره فى مصادره ، وسأذكر هنا بعض الأمثلة التى تدل على عدم اشارته الى أصحاب الآراء ،

---

(١) المصباح ص ٤١١ ،

من ذلك : ما ذكره بقوله : " وما يقال من أن الصلة جملة خبرية لم يــريدوا بها أنها خبر حال كونها صلة ، بل انها كانت خبرا قبل ذلك " .(١)

ومن ذلك ما ذكره في مقتضى الحال بقوله : " وقد يقال : مقتضى الحال هـو الكلام المشتمل على ذلك الوجه ، وتطبيقه جعله مندرجا تحت المقتضى اندراج الجزئي تحت الكلي .. " وهذا القول ذهب اليه سعد الدين في شرحه للمفتاح .(٢)

وفي تأكيد المسند اليه يقول : " وقد يقال الخبر اذا كان نسبته الى جميـع أفراد الجنس على سواء ، فهم من النكرة العموم ، كما في قولك : تمرة خير من جرادة "(٣) ومن أخذه من الكشاف بغير اشارة الى ذلك ما ذكره في قوله تعالى (وراودته الـتي هو في بيتها .. الآية " (٤) بقوله : المراودة مفاعلة ، من راد يرود ، اذا جـاء وذهب ، كالذي يخادع صاحبه عما في يده ، أي خادعته عن نفسه واحتالت في طلب مواقعته اياها " والأمثلة على ذلك كثيرة وقد نبهت عليها في التحقيق.ومن أخذه مـن الصحاح من غير اشارة أيضا تفسيره لكلمة (اقتحمته عيني) بقوله يقال اقتحمته عيـني أي ازدرأته واستحقرته .(٥)

ومن ذلك تفسيره لكلمة ، الورطة ، بأنها الهلاك وأصلها الأرض المطمئنة الـتي لا طريق فيها ، وهذا منقول من الصحاح (٦) والأمثلة على نقله من شتى الفنون من غير تعيين ولا اشارة تفوق الحصر .

٧ ــ تلخيص كلام السكاكي :

ومن أسلوب السيد في شرح الكتاب أن يذكر تلخيصا لبعض المسائل بعـد عرضها ومناقشة ما فيها بافاضة ، وهذا أمر واضح في الكتاب كله ،

ومن أمثلة ذلك قوله في الحالة المقتضية لتقييد المسند المفرد : " وحاصل

---

(١) المصباح ص ٢٥ . (٢) المصباح ص ٣٤ وشرح سعد . الورقة ٣٢
(٣) المصباح ص ٤٨ .
(٤) من الآية ٢٣ سورة يوسف وانظر المصباح ص ٦٣ والكشاف ج ٢ ص ٣٥٤ .
(٥) المصباح ص ٤٩ والصحاح ج ٥ص ١٥٩٩ .
(٦) المصباح ص ٣٨ والصحاح ج ٣ ص ١١٦٦ .

ما اختاره أن الجملة الجزئية جملة اسمية أو فعلية مستقلة قد حكم فيها بالنسبة بين طرفيها اما اخبار أو انشاء ، فهي جملة خبرية أو انشائية مقيدة بقيد مخصوص يجرى مجرى الظرف والحال ، فلا تتغير بذلك القيد عما كانت عليه من الاحتمال وعدمه "[1] .

ومن ذلك قوله في الحاجة الى علم الاستدلال : " وملخص الجواب الذى أشار اليه في الاستدلال أن بعضا منه ضرورى فينبه المخاطب عليه فان لم يتنبه له محوناه عن دفتر المخاطبين " اذ كل ميسر لما خلق له " وان تنبه علمناه به البعض الآخر الكسبى ، وبذلك يعلم الجواب في علم المعانى "[2] .

ومن ذلك أيضا ما ذكره في قوله تعالى (رب اشرح لى صدرى)[3] بقوله : " والحاصل أنه زيد (لى) لمجموع أمرين : أحدهما أنه يفيد زيادة تأكيد الطلب لانشراح الصدر ، لأن الكلام معه يصير اجمالا وتفصيلا ، بخلاف قولك : اشرح صدرى والثانى : أن المقام كان مقام مزيد احتياج الى انشراح الصدر ، فاقتضى تأكيد طلبه وذلك لأن هذا الدعاء كان وقت ارساله الى كفرة مردة فلا بد من انشراح الصدر لتحمل أعباء الرسالة "[4] وهكذا في مواضع أخرى كثيرة .

٨ — شرح الشواهد الشعرية وغيرها :

تتبع السيد الشريف الشواهد التى أوردها السكاكى بالشرح والتحليل وبيان المعنى فيها. وأحيانا يذكر مناسبة القصيدة أو البيت ، كما أنه يذكر تعريف بعض الشعراء ، ويترجم لهم بايجاز ، وان كان في الغالب لا يذكر نسبة الأبيات لقائليها ، وكذلك في الأمثال المذكورة والأقوال المشهورة نراه يشرح المثل ويبين مضربه .

وهو مع الشواهد الشعرية أيضا يكمل أنصاف الأبيات التى أوردها السكاكى أو يذكر أبياتا قبل تلك الأبيات أو أبياتا بعدها ، ومن ذلك ، أورد السكاكى

---

(١) انظر المصباح ص ١٢٩ .
(٢) المصباح ص ١٦ .
(٣) من الآية ٢٥ سورة طه .
(٤) المصباح ص ٢٨٦ .

شاهدا على كون حتى تفيد التدريج وهو :

وكنت فتى من جند ابليس فارتقى * بى الحال حتى صار ابليس من جندى

فقال السيد : وبعده :

ولو عشت حتى مات أحدث بعده ، * دقائق شر ليس يحدثها بعدى [(١)]

ومن ذلك أيضا قوله فى مكان آخر " وفاعل شاء فى قوله : اذا شاء ضمير الصدع المذكور فى البيت السابق :

فلو أن من حتفه ناجيا * لكان هو الصدع الأعصما [(٢)]

ويسير الشارح على هذا النهج فى كل الكتاب شارحا للأبيات والأمثال ومكملا لها أو ذاكرا ما قبلها أو ما بعدها ، وهذا أمر ملموس فى شرحه وواضح .

٩ ـ الاستشهاد بالقرآن والحديث والشعر وغيره :

عندما يوضح الشارح بعض النكات البلاغية أو يتحدث عن المسائل اللغوية والنحوية وغيرها نجده يوضح هذا بضرب المثال ، ولم يقتصر استشهاده على القرآن الكريم وحده والحديث النبوى بل ذكر أمثلة من الشعر والأمثال والأقوال المأثورة .

ثم هو أيضا كان يدعم آراءه أحيانا بالاستشهاد بالقراءات المختلفة للآيات القرآنية ، وكل هذا ظاهر وواضح فى شرحه ، وسأضرب مثالا لكل نوع من هذه الشواهد كالآتى :

أما عن استشهاده بالقرآن الكريم فهو كثير جدا فى الشرح ، ومن ذلك ما ذكره فى ختام أضرب الخبر بقوله : " واعلم أن تأكيد الكلام قد يكون لوفور نشاط المتكلم وكونه عن صميم قلبه كما مر ، وللرد على ظنه الباطل كقولك : أحسنت اليه ثم انه أساء الى ، وقولها (رب انى وضعتها أنثى)[(٣)] ولاظهار كمال العناية كقوله تعالى (انك لمن المرسلين)[(٤)] أوكمال التضرع والابتهال

---

(١) أنظر المصباح ص ٨٧ . (٢) المصباح ص ١٧٧ .
(٣) من الآية ٣٦ سورة آل عمران .
(٤) من الآية ٣ سورة يس .

نحو (اننا آمنا)[١] أو كمال الخوف نحو (انك من تدخل النار فقد أخزيته)[٢] الى غير ذلك من المعانى التى تناسب التأكيد بوجه خطابى)[٣]

وأما عن استشهاده بالشعر فهو أيضا كثير ومنه قوله : " اذا قد تجزم فى الشركقوله : واذا تصبك خصاصة فتجمل "[٤]

وفى الحالة التى تقتضى كون المسند اليه علما يقول : " ومن البين فى ملاحظة المعنى الأصلى فى الكنية قول الشاعر :

قصدت أبا المحاسن كى أراه * بشوق كاد يجذبنى اليه
فلما أن رأيت رأيت فردا * ولم أر من بنيه ابنا لديه[٥]

ومن استشهاده بالحديث الشريف قوله : " الزعم مطية الكذب ، ومنه قوله عليه السلام زعموا مطية الكذب ، وقال شريح لكل شئ كنية وكنية الكذب زعموا "[٦] وهكذا فى مواضع أخرى .

وأمثلة استشهاده بضرب الأمثال ما ذكره فى حذف المسند اليه لكون الاستعمال واردا على تركه أو ترك نظائره من تمثيله لذلك بقولهم : رمية من غير رام ، وقولهم : خير قليل وفضحت نفسى "[٧]

وأما عن تمثيله بالنثر فهو كثير أيضا . ومن يطالع شرحه يجد شواهد كثيرة على كل ما سبق ذكره .

١٠ — نسبة المذاهب لأصحابها :

فى المواضع التى يورد فيها السكاكى بعض المسائل الخلافية ويذكر المذاهب فى ذلك نجد الشارح يرجع هذه المذاهب الى أصحابها أحيانا وذلك كمذاهب أهل السنة أو المعتزلة ، أو الكوفية والبصرية ، وكذا ما يذهب اليه الأشخاص المشهورون .

---

(١) من الآية ١٦ سورة آل عمران .
(٢) من الآية ١٩٢ سورة آل عمران .
(٣) المصباح ص ٤٠ .
(٤) المصباح ص ١٩٤ .
(٥) المصباح ص ٦١ .
(٦) المصباح ص ٢٤٢ .
(٧) المصباح ص ٥٢ .

من ذلك : عندما أورد السكاكي حدود الخبر ولم يعين أصحابها ، أرجعهــا السيد لقائليها حيث قال : " الحد الأول للجمهور ، والثاني لأبي الحسين والثالث لعبد القاهر " (١) .

وفي موضع آخر يقول السكاكي " على ما يظنه من لا وقوف له بعلم النحو ، قـال السيد " والمراد بمن لا وقوف له على علم النحو الامام الرازي " (٢) وهكذا .

١١ ـ تتبعه للعلامة سعد الدين ونقد آرائه :

ان القارئ لشرح الشريف الجرجاني يستطيع أن يرى أثر تتبعه لآراء العلامة التفتازاني بشكل واضح جدا ، فهو لم يترك معظم ما ذهب اليـــه فـي كتابيه شرح المفتاح والمطول الا ونقده ، وعده وهما أو زعما ... الخ وقد سبق أن ذكرنا جانبا من ذلك في مصادره ، ونضرب هنا أيضا أمثلة توضح مدى تحامله على سعد الدين ، مع أنه مع هذا النقد له وابطال آرائه كثيـرا ما ينقل منه ، ويأخذ من كتابيه نكاتا ينسبها لنفسه ، وقد نبهت على ذلـك أثناء التحقيـــق .

ومن أمثلة نقده للتفتازاني ، قوله " وتجويز وقوع الانشائية خبرا للمبتـدأ بلا تقدير ولا تأويل ليس بشيء " (٣) .

وقوله : " وما يقال من أن علم المخاطب بالحكم من الخبر هو حضــوره في ذهنه لمجرد سماعه ، سواء اعتقده أم لا فليس بشيء ، لأن ذلك الحضــور قد يحصل بسماع الخبر من النائم ولا يعد خبره مفيدا عند أرباب اللغة وكـذا مجرد حضوره في ذهن المتكلم لا يعد علما عندهم أصلا " (٤) .

وفي قوله تعالى (اقرأ باسم ربك)(٥) ذكر التفتازاني أن الباء زائـدة للتأكيد والثبات ، كما في أخذت الخطام وأخذت بالخطام ، ونقده السيد بقوله فلا حاجة الى حمل الباء في الآية على الزيادة كما توهم : (٦)

---

(١) المصباح ص١٨ـ٢٠ . (٢) المصباح ص ٢٦٢ .
(٣) المصباح ص١٨ وشرح سعد الورقة ٥٤ .
(٤) المصباح ص ٢٥ والمطول ص ٤٥ .
(٥) الآية ١ سورة العلق .
(٦) المصباح ص ١٨٩ وشرح سعد . الورقة ١١٨ .

وهكذا لا يكاد يخلو فصل من الكتاب من نقد للتفتازاني .

وقد ذكرت أنه مع تطاوله عليه ينقل منه كثيرا . واليك مثالا على ذلك قال السكاكي : والأمثلة أكثر من أن يضبطها القلم . وقال السيد في بيان هذا " يرد عليه أن ما بعد (من) لا يصلح أن يكون مفضلا عليه . اذ ليس مشاركا لما قبلها في أصل معنى الفعل — أعني الكثرة — ونظيره قولهم : أكثر من أن يحصى وقوله :

الناس أكيس من أن يمدحوا رجـــلا * ما لم يروا عنده آثار احســـان

وهو كثير في كلام المولدين ؟ قيل كلمة (من) متعلقة بفعل يتضمنه اسم التفضيل أي متباعدة في الكثرة من ضبط القلم ومن الاحصاء ومتباعدون في الكياسة من مـــدح الرجل الخالي عن الاحسان " هذا ما ذكره الشارح وبالاطلاع على شرح التفتازانـــي وجد أن هذا الكلام منقول منه بتصرف . (١)

١٢ — الاقتباس من القرآن الكريم :

يتبع السيد في شرحه طريقة الاقتباس من آيات القرآن الكريم أحيانا ومقدمة شرحه يغلب عليها ذلك . حيث وجدناه يصف شروح المفتاح بقوله : كســـراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء . ويخاطب أهل بلاد ما وراء النهر بقوله : فقلنا لهـم ياأهل الكتاب لستم على شيء . فلعمري ما أنتم الا كباسط كفيه الى الماء . فهل أدلكم على تجارة تنجيكم من الشقاء ... الخ

وفي شرحه لتعريف علم المعاني يقول : " وكلمة اعلم حث للمخاطب علـــى أن يلقي سمعه الى ما يعقبها وهو شهيد " وهكذا في بعض المواضع الأخـــرى

١٣ — أثر المنطق والفلسفة على شرحه :

قلنا فيما سبق أن السيد ضمن كتابه كثيرا من المباحث الكلامية والفلسفيـــة لأن ثقافته اشتملت على الكثير من ذلك ولأنه يشرح كتاب السكاكي والكتـــاب بطبعه فيه كثير من المسائل الكلامية والفلسفية . وهذا ما جعل السيد مضطـــرا لايراد مثل هذه المسائل — وان كان قد بالغ في ذلك في بعض المواضع —

---

(١) المصباح ص ١٠٨ وشرح سعد الدين . الورقة ٧٠ ، ٧١ .

وليس معنى ذلك أن الفلسفة والمنطق ومباحثهما قد طغوا على شرحه بل ان في شرحه لمسات ذوقية كثيرة ، وكثيرا ما مدح الذوق وأطنب في اطرائه وعاب على من لا ذوق له في فهم المسائل البلاغية ، ويمكن لمن يطالع كتابه أن يجد صدق ما نقول .

ومن أمثلة خوضه في المسائل الكلامية قوله " فان تحقق الماهية مع صفة لايستلزم أن تكون مقتضية لها وبأن كل واحد منهما يدفع الآخر ، وبأن تعليل صلوحها للتوحد والتكثر بسلب التعليل المذكور لا يصح ، لأن نفي توهم فاسد ناشئ مما لا يصح أن يكون منشأ له لا يكون سببا لذلك الصلوح في نفس الأمر ولا دليلا عليه " (١)

١٤ - تأثره باللغة الفارسية في شرحه :

مع أن أسلوب السيد الشريف قد استقام في شرحه للقسم الثالث ، حيث أنه لم يخالف قواعد اللغة العربية ومناهجها ، ولم يأت بعبارات ملتوية أوكلمات غامضة ، ومع وضوح عباراته وسلاستها نجد أن للغة الفارسية التي أتقنها أثرا واضحا في شرحه ، فقد ذكر تفسير بعض الألفاظ بالمعنى الفارسي للكلمة من ذلك أنه فسر (الحتلة) بقوله : ويقال لها بالفارسية سكتة ، وفسر اللحمة التي تستخدم في النسيج بقوله : ويقال له المكوك بالفارسية ، وفسر كلمة الضليع بأنها بهلوار بالفارسية .

وأيضا كتب في شرحه فقرات كاملة باللغة الفارسية ، فعند الاستشهاد بقوله تعالى (قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى) (٢) يذكر معناها بالفارسية فيقول : " رآه نمود أورا بكيفية استعمال آلات در تحصيل كمالات " .

وعند حديثه عن الفصاحة يقول : " أحسن من قال : در بيان ودر فصاحة كي بود يكسان سخن كرجه كونيده بود جون حافظ جون أصمعي در كلام ايزد وبيجون كه رحمى منزلست كي بود تبت يدى ما نند ياأرض ابلعي " ومعنى هذا الكلام : وقد كان - القرآن - في البيان والفصاحة متفردا ، ولو أن ما

---

(١) انظر المصباح ص ١٤٤ .
(٢) من الآية ٥٠ سورة طه .

قاله مثل حافظ ومثل الأصمعى كما فى كلام الله وليس له مثيل ، فان منزل الرحمة فـــى
تبت يدا مثل ياأرض ابلعى ، أى أن كل آيات القرآن فى درجة واحدة من البلاغة .

شخصية الشارح فى كتابه وافتخاره بنفسه :

اذا أردنا الحديث عن شخصية السيد الشريف فى كتابه يمكننا أن نقول ان تلك
الشخصية كانت واضحة وظاهرة ، تلمسها فى كل موضع من الكتاب ، وقــد رأينا ذلك
واضحا عند حديثنا عن مصادره وكذلك عند الحديث عن منهجه ، فهو عندما يعـــرض
كلام السكاكى يشرح هذا الكلام أولا ليبين ما فيه من كلمات غريبة ويوضح ما فيه من غموض
أو التواء ، ثم يناقش السكاكى فيما ذهب اليه أحيانا ويذكر ما يراه هو صوابا مدعمـــا
كلامه بأقوال الآخرين ثم هو بعد ذلك لا يترك مكانا ذكر فيه اعتراض على السكاكى الا
ناقشه وأيده أو فنده ، وكذلك رأيناه يتبع أسلوب التساؤل والاجابة على ذلك حـــتى
لا يبقى فى الموضع مكان لأى استفسار ، ثم هو فى نقده للآراء يذكر تعليلا لما ذهب
اليه ، ولم يترك الشارح نفسه فريسة للنقل المباشر من غيره دون أن يناقش ويدلل ،
مستعينا فى ذلك بالاستشهاد بكلام العلماء من لغويين ونحويين وعلماء بلاغة واضعـا
كل شئ من ذلك فى الموضع المناسب له واللائق به .

هذا عن شخصيته. وأما عن اعتزازه بنفسه وافتخاره فيبدو واضحا فى مقدمة شرحه
فقد عظم كتابه وذكر أنه سيخرج الناس من السراب الى الحقيقة وأنه سيروى الأكباد
العطشى ، وأن كل الشروح السابقة عليه مجروحة أو مدخولة ... الخ .

وهذا الاعتزاز والافتخار قد لازم الشارح فى مواضع كثيرة من كتابه. واليك أمثلـة
لذلك : فى تعريف المسند اليه بالموصولية يقول : " وانما أطنبنا فى توضيح المقـــام
لنثبت أقدامك فى دفع تمويهات الأوهام " . (١)

وفى تقديم بعض المعمولات على بعض يقول : " وأنت تعلم أن هذا المقام مــن
مداحض الأوهام ، ترى جماعة فيه قد تاهوا ، ولم يثبتوا على ما تخيلوا وفاهوا ولقـد
ثبتناك فيه تثبيتا متينا ، وآتيناك من لدنا سلطانا مبينا " (٢) وبعد أن تحـدث

(١) المصباح ص ٦٦ .

(٢) المصباح ص ١٨٣ .

عن عطف القصة على القصة يقول : " فليكن ذلك على ذكر منك فانه ينجيك عن تكلفات باردة في مواضع شتى " (١)

وفي نهاية علم المعاني يقول : " وقد فرغنا بحمد الله تعالى عند شرح فوائد ، بأبلغ تبيان " .

وهكذا نجد افتخاره هذا في مواضع عدة من كتابه .

شرح السيد بالنسبة الى بقية الشروح :

قلنا ان صاحب كشف الظنون قد قرر أن أجود الشروح للقسم الثالث ثلاثة ، وهي شرح العلامة قطب الدين الشيرازي ، وشرح سعد الدين التفتازاني وشرح السيد الشريف الجرجاني . (٢)

والملاحظ على شرح السيد أنه قد تبع فيه الطريقة التي انتهجها العلامة سعد الدين في شرحه للقسم الثالث .

هذا ، ويمكن أن نقول ان شرح السيد قد انفرد عن غيره بميزة ميزته عن بقية الشروح ، وذلك أنه شرح متأخر عن معظم الشروح الأخرى حيث استطاع الشارح بمهارة فائقة ودقة متناهية أن يلم الماما تاما بما احتوته الشروح الأخرى من نكات ومسائل وأن يستفيد منها في شرحه حيث كانت مادة خصبة له للاستفادة منها والاستعانة بما فيها ، وقد أعطته ثروة ضخمة من المعرفة جعل يقلب فيها ليأخذ ما يفيده ليضعه في كتابه كما يتناول المسائل التي لا تتفق مع وجهة نظره بالنقد .

وكذلك استطاع أن يجمع في شرحه أغلب الاعتراضات التي وجهت الى السكاكي وأن يورد كلا منها في موضعه متبعا اياها الأجوبة التي أجاب بها العلماء عنها . ثم يدلي هو بدلوه مؤيدا صاحب الاعتراض ان كان على صواب ومعارضا له ومفندا لاعتراضه ان كان على غير حق ، وكذلك لم يترك الأجوبة على هذه الاعتراضات بدون مناقشة لأصحابها فيما ذهبوا اليه ان كانوا مخطئين من وجهة نظره ، أو يؤيد هذه الأجوبة لما فيها من الصحة ، وفي النهاية يختار ما يراه هو أولى أو صوابا .

---

(١) المصباح ص ٢٣٧ .
(٢) كشف الظنون ج ٢ ص ١٧٦٣ .

وهكذا فى كل كتابه يسير على ذلك بحيث رأينا الكتاب شاملا و متنوعا وجامعا لمعظم ما احتوته الشروح التى سبقته ، ومن ثم يمكن أن نقول ان الاستفادة منه لا شك أكثر .

***

:: نسخ الكتاب التى اعتمدت عليها فى التحقيق ::

ذكرت فى حديثى عن كتاب المصباح للسيد الشريف أن له نسخا كثيرة وهى تزيد على العشرين نسخة فى أحجام مختلفة ومتنوعة ، وأمام هذا العدد الضخم من النسخ وقفت مترددا فيما اختاره من ذلك ليكون الأساس الذى اعتمد عليه فى التحقيق ، سواء فى النقل أو المقابلة ،

وقد رأيت لزاما على أن أرى هذه النسخ كلها لأقارن بينها من ناحية وضوح الخط وعدم وجود التمزيق فى الأوراق أو الطمس فى الكلمات من آثار الرطوبة وغيرها وبعد الاطلاع على تلك النسخ اهتديت الى أربع منها اتخذتها أساسا لعمل التحقيق وذلك لكون هذه النسخ خالية غالبا من الثقوب فى الأوراق أو الطمس فى الكلمات بخلاف بقية النسخ ، فبعض أوراقها فيه ثقوب أو خروم ، أو فيه كلمات مطموسة كما أن معظمها أيضا غير واضح الخط ، وأيضا بعضها حجمه صغير .

والنسخ الأربعة نسختان منهم فى مكتبة الأزهر الشريف والأخرتان فى دار الكتب المصرية ، وقد اتخذت من تلك النسخ واحدة جعلتها أصلا ، وقابلت الثلاثة الباقية عليها ، كما رمزت لكل نسخة من الثلاثة برمز يميزها عن غيرها ، فرمزت للأولى بحرف أ وللثانية بحرف ب وللثالثة بحرف ج واليك بيان هذه النسخ :

١ — نسخة الأصل وهى فى دار الكتب المصرية ضمن مكتبة قوله ، وتقع تحت رقم ١٣٣ بلاغة . ق ، وهى فى مجلد ، ومكتوبة بقلم تعليق بخط أبى بكر السوحته وقد فرغ من كتابتها سنة ١٠٥٢ هـ وهى مجدولة بالمداد الأحمر ، وعلى هامشها بعض الحواشى ، وعدد أوراقها ٢٦٤ ورقة ، ومسطرتها ٢٥ سطرا

وقد جعلتها الأصل لوضوح خطها من جهة،ولجدة أوراقها من جهة أخرى ولعـــدم وجود أى تلف أو كشط بالأوراق ،كما أنها خالية من الثقوب وآثار الرطوبة التى تـؤدى الى طمس بعض الحروف فى الغالب ، وبعد النقل منها قمت بمقابلتها على بقية النسخ الأخـــرى .

٢ — النسخة (أ) وتعد هذه النسخة أقدم النسخ جميعا ، وهى موجودة فـى مكتبة الأزهر الشريف ، وهى فى مجلد ، ومكتوبة بقلم معتاد وبأولها ووسطهـا أوراق بخط مغاير ، وعدد أوراقها ٢٩٨ ورقة ، ومسطرتها ٢١ سطرا وحجمها ٢٥ سم ، وتقع تحت رقم (٤٠٥) ٨٨٠٤ بلاغة .

٣ — النسخة (ب) وتوجد أيضا فى مكتبة الأزهر ، وهى فى مجلد ، وقد كتبت بقلم معتاد سنة ٨٤٤ هـ وبها هوامش حواشى ، وبأولها ورقة بخط مغايـــر وعدد أوراقها ٢٠٥ ورقة ،ومسطرتها ٢٥ سطرا ، وحجمها ٢٦ سم وهـى برقم (١٨٦٥) بخيت ٧٨ ! ٤٥ بلاغة .

٤ — النسخة (ج) وهى فى مجلد بقلم معتاد بخط أويس ، وقد فرغ من كتابتهـا سنة ٨٨٢ هـ وعدد أوراقها ١٧٦ ورقة ومسطرتها ٣١ سطرا فى حجم الربع وهى فى دار الكتب المصرية بمكتبة تولة ، وتقع تحت رقم ١٢٢ بلاغة ٠ ق .

وهكذا كان اختيارى لتلك النسخ المكتوبة فى أزمنة متفاوتة ومتباعدة لنتبين مـــدى الاختـــلاف بينهـــا .

* * *

((منهج التحقيق الذى اتبعته))

عندما بدأت فى تحقيق الكتاب استرعى انتباهى ظاهرة جديرة بالتسجيل هنا وهى أن شرح السيد الشريف كما نعرف شرح بطريقة القول ، وهذا معناه أن السيد كان يأخذ فقرة أو عبارة من كلام السكاكى ثم يشرحها ، وبعدها يتناول عبارة أخرى لا تكون تالية للفقرة السابقة عليها ، بل يأخذ جزءا من الفقرة أو العبارة ثم ينتقل لفقرة أخرى تاركا فيما بين الفقرتين بعض العبارات الواضحة من كلام السكاكى ، أوالتى لا تحتاج الى الحديث عنها لعدم وجود نكات بها مثلا ، وذلك يؤدى بالقارىء الى حالة من تشتيت الذهن ، بحيث لا يستطيع أن يستوعب الشرح أو يتابع معناه الا اذا كان المتن موجودا أمامه لأنه بوجود المتن يمكن للقارىء ان يفهم جيدا هذا الشرح ويدرك مغزاه ، ولما كانت الفائدة لا تتم الا بوجود أصل القسم الثالث من المفتاح مع الشرح رأيت لزاما على أن أضع هذا الأصل مع الشرح جاعلا مع كل صفحة من الشرح ما يقابلها من المتن ، ليستطيع القارىء أن يفهم ما هو مقصود بالكلام .

وقد اقتضى ذلك أن تكون الصفحة الواحدة مقسمة الى ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : بأعلاها ويشتمل على أصل القسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكى
والجزء الثانى : يقع فى الوسط ، وهو شرح العلامة السيد الشريف للقسم الثالث
أما الجزء الثالث فيقع فى أسفل الصفحة ، وهو ما يتعلق بعملية التحقيق .

وقد استغرق ذلك منى وقتا وجهدا ، كما أن تلك الاضافة لأصل القسم الثالث من المفتاح قد زادت من حجم الكتاب بشكل ملموس .

وقد قمت بنقل أصل الكتاب من النسخة التى جعلتها أصلا لى ، وبعد اتمام عملية النقل قابلت نسخة الأصل على كل واحدة من النسخ الثلاثة الأخرى ، وذلك لبيان أوجه الاختلاف بينها ، وليتبين لنا ان كان هناك سقط من هذه النسخ أوزيادة وقد نبهت على السقط ، الموجود فى بعض النسخ ، كما أثبت الزيادة فى البعض الآخر ، ووضعت ذلك بين معكوفين هكذا (   ) ، ليتميز عن غيره وتكاد النسخ

كلها أن تكون متفقة الا فى اختلافات قليلة بينها ليست جوهرية ، أما عن السقط فهو أيضا قليل ، وهذا السقط عبارة عن كلمة أو جملة ولا يتجاوز أكثر من سطرين الا فى مواضع نادرة ،

أما عن كلام السكاكى الموجود ضمن شرح السيد الشريف ، فقد ميزته عن الشرح بأن جعلته بين قوسين مزدوجين هكذا " " وذلك تسهيلا على القارئ ليعرف كلام السيد من كلام السكاكى وأيهما المتن وأيهما الشرح ،

كما درست الآيات القرآنية الكريمة ووثقت قراءاتها التى ذكرها الشارح ثم ميزتها أيضا عن بقية الكلام ، بأن وضعتها بين قوسين هكذا ( ) ،

كما أثبت فى التحقيق رقم الآية واسم السورة ،

أما عن الأحاديث النبوية الشريفة فقد وضعتها أيضا بين قوسين كالآيات ووثقت كل حديث من مصدره الأصلى فى الكتب الصحيحة ، وذكرت تكملة الأحاديث فى الغالب ، كما ذكرت رواتها ومناسبة الحديث ان أمكن ،

أما عن شواهد الشعر ، فقد عينت قائليها ، ومناسبة القصيدة التى قيلت فيها من مدح أو غيره ، كما ذكرت بحور الأبيات فى الغالب ، وان كان هناك اختلاف فى رواية البيت أثبت ذلك الاختلاف ، كما ذكرت المراجع التى ذكر فيها البيت غير ديوان الشاعر ان كان موجودا ، وذكرت النقد الموجه للبيت ان وجد ، وأكملت أنصاف الأبيات ، أما عن معنى الأبيات فكثيرا ما يذكرها الشارح وما لم يذكره فقد ذكرت معناه بايجاز ،

وبالنسبة للأمثال ، فقد أرجعتها الى مصادرها الأصلية ، وذكرت مضرب المثل ومورده أو مناسبته ،

وأعجمت الكلمات التى تخلو حروفها من الاعجام ،

وبالنسبة للكلمات الغريبة الواردة فى الشرح أو فى الأبيات وغيرها فقد ذكرت معانيها واستعمالاتها ،

ولما كان شرح السيد خاليا من العناوين للأبواب والفصول ، فقد وضعت عناوين لأبواب الكتاب وفصوله ، وجعلتها بين معكوفين هكذا ( ) دلالة على أنها لم تكن

موجودة فى أصل الشرح ، وصنعت ذلك ليسهل الاطلاع ، وقد كان الشرح كله خاليا تماما من الفواصل بين الفقرات ، وكذا علامات الاستفهام وعلامات الاعتراض ، واقتضانى ذلك ان أضع فواصل بين الفقرات وأن أضع علامات الاعتراض وعلامات الاستفهام فى أماكنها ، لتتم الفائدة.أما عن ترقيم صفحات كتاب المصباح فقد قمت بترقيم تلك الصفحات على حسب وجودها فى نسخة الأصل ، وجعلت هذا الترقيم فى هامش الصفحة جهة اليسار تمييزا له عن ترقيم الكتاب حسب النقل ،

وقد جعلت كتابتى فى نقل الكتاب تتفق بقدر الامكان وقواعد الاملاء المتداولة حاليا فى الطباعة ،

وقد ورد مع الشرح أسماء لبعض الأعلام ، فذكرت ترجمة مختصرة لكل علم لنتعرف على شخصيته وثقافته ومؤلفاته ،

ولما كان الشارح كثيرا ما ينقل الآراء أو الاعتراضات وأجوبتها دون ما تعيين لاصحابها رأيت أن من الضرورى ولو بقدر الامكان ـ ارجاع تلك الآراء الى أصحابها لمعرفة من ثم وذلك بحسب مظانها ، وكذا وثقت نقوله عن الأعلام الذين ورد ذكرهم فى الشرح اما بالرجوع الى مؤلفاتهم أو مؤلفات غيرهم ان لم يكن لهم كتبا متداولة .

كما نبهت على نقوله التى أخذها من الكشاف ومن كتب عبد القاهر والخطيب والسعد والشيرازى وغيرهم كلما أمكننى ذلك ،

وفى تقريرى لبعض المسائل فى التحقيق استعنت بآراء علماء البلاغة وغيرهم وأثبت ذلك فى التحقيق .

أما عن الفهارس فقد وضعت فى نهاية الكتاب الفهارس الآتية :

١ ـ فهرس الآيات القرآنية الواردة فى كتاب المصباح ، ذكرت فيه اسم السورة ورقم الآية فى السورة ، وجعلت ترتيبه على حسب ترتيب السور القرآنية بالمصحف

٢ ـ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة ، ورتبته على حسب الأبجدية .

٣ ـ فهرس الأمثال ، ورتبته حسب الأبجدية ،

٤ ـ فهرس الأعلام الوارد ذكرها فى كتاب المصباح وفى تحقيقه ،وهو مرتب ترتيبا أبجديا .

٥ - فهرس الأماكن والقبائل ، وهو مرتب حسب الأبجدية .

٦ - فهرس أبيات الشعر ورتبته حسب قافية البيت ، واتبعت في ذلك ذكر أول البيت وذكر آخره ثم بحره واسم قائله .

٧ - فهرس المراجع ، ورتبته حسب الأبجدية .

٨ - فهرس الموضوعـــات .

وقد رجعت في عملية التحقيق والدراسة الى المصادر والمراجع العربية ، كمراجع البلاغة والأدب واللغة والأصول والمنطق والنحو والتفسير والحديث ، وكذا كتب التاريخ والتراجم وغيرها من المراجع ، سواء منها المطبوع أو المخطوط وكنت في كل ذلك أسيــر على هدى من الله سبحانه وتعالى وتوفيقه ، وبتوجيهات قيمة من أستاذنا الجليـــل الدكتور كامل الخولي عميد الكلية ورئيس قسم البلاغة والنقد بها ، والذى لم يدخـــر وسعا في ابداء الرأى والنصيحة والتوجيه. فكثيرا ما رجعت اليه واستمعت بآرائه وتوجيهاته وكثيرا ما ساعدنا وحثنا على اتمام البحث ، ولم تكن توجيهاته قاصرة على تلك المرحلـة من الدراسة فقط بل تعرفت عليه أستاذا ومعلما لى في مرحلة الماجستير ، فكـــان بحق نعم الأستاذ والأب معا في كل من المرحلتين .

كما كنت في كل ذلك أعمل وأبحث وكلى رجاء في أن يخرج هذا البحث علـــى الصورة الكاملة الحسنة والتى تكون خالية من التقصير بقدر الامكان حتى تبدو معجبـــة للناظـــرين .

ومن ثم فلم أدخر وسعا الا وبذلته ، وقد صابرت وتأنيت ليمكن الوفاء بما قصدت من اتمام البحث على الوجه الأكمل .

فان كنت قد حققت ما أردت فهذا بفضل الله ومنه على، وان كانت الأخرى فالكمال لله وحده ولا يخلو انسان من التقصير أو عدم الادراك لبعض الأمور أحيانا ، وصـــدق الله اذ يقول (وفوق كل ذى علم عليم) والرسول - صلى الله عليه وسلم - يقول : (انما أنا قاسم والله معط) .

هذا وما توفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب ...

((خاتمـــــــة))

كان الهدف من دراستنا لشخصية الشريف الجرجاني أن نبرز تلك الشخصيـــة وتظهرها ، حيث أن السيد الشريف - مع شهرته - لم يتناوله باحث بالدراســـة المستفيضة التي توضح لنا كل جوانب شخصيته ٠

ومن ثم فقد تحدثت في دراستي عن بيئة السيد الشريف التي نشأ فيها وظروفهـا وأحوالها ، وتبين لنا من خلال هذه الدراسة أن فترة الازدهار للحياة العلمية حينئذ كانت في الشطر الثاني من حياة السيد الشريف والتي عاش فيها في بلاد ما وراء النهر أما الفترة الأولى فقد شهدت جانبا من المنازعات والاضطرابات بين الحكام ولم يشتهـر بتشجيع العلماء في تلك الفترة سوى شاه شجاع الذى اتصل به السيد وولاه التدريـس في شيراز عن طريق سعد الدين التفتازاني ٠

ثم تحدثت عن مولد السيد وأنه كان في سنة ٧٤٠ هـ في مدينة شيراز ، وبينت الخلاف في سنة وفاته ، ورجحت أن وفاته كانت سنة ٨١٦ هـ ٠

ثم تحدثت عن تنقلات السيد الشريف لطلب العلم ورحلاته المتعددة والمتكـررة في شتى الاقطار الاسلامية للأخذ عن علمائها ٠

وقد ظهر لنا بوضوح حب السيد الشريف للعلم ورغبته الملحة في ذلك ، وأنـه كان صاحب ذكاء نادر حتى أنه علق على الوافية شرح الكافية وهو في صباه. وتبين لنـا أنه لم يدخر وسعا في سبيل تحصيل العلم مهما كلفه ذلك من جهد الانتقال وعنـاء السفر ، كما اتضح لنا كيف أعجب به شيوخه لذكائه وقوة قريحته، وانه نقد بعضهم وهـو لا يزال في دور التلمذة ٠

واقتضانا ذلك أن نتحدث عن شيوخه الذين تثقف على يديهم وتربى في كنفهـم وقد رأينا أنه تتلمذ على علماء أفاضل أصحاب مدارك واسعة والمام بشتى الفنـون وذكرنا أن من هؤلاء الشيوخ مبارك شاه المنطقي وقطب الدين الرازى وجمال الديـن الأقسرائي وأكمل الدين البابرتي وغيرهم. كما تحدثت عن تصوفه وورعه وشيخه الصوفـي

ثم انتقلت بعد ذلك الى الحديث عن شركاء السيد في الدرس ومن عاصره وتبين لنا أنه شارك عددا كبيرا في دراسته كما صاحبه بعضا منهم في رحلاته وتنقلاته وهو محمد بن حمزة الفناري ، وتبين لنا أيضا أن السيد كان يتفوق على أقرانه في الدرس وذكرنا ، ممن شاركه غير الفناري: المولى أحمدى وابن قاضي سماوة ، وتحدثنا عن مصاحبته لسعد الدين وغيره من العلماء، ثم تحدثت عن تلاميذ السيد الشريف وأوضحت أنه قد التف حوله أتباع كثيرون ، لاشتغاله بالتدريس في كل من شيراز ، وسمرقند .

وتبين لنا كيف تخرج على يديه عدد بارز من طلابه ، ومنهم ابنه محمد والمولى فخر الدين وموسى باشا وعلاء الدين بن صلح ، كما اتضح ان السيد كان له أثر واضح فيمن بعده ، خاصة في علماء الدولة العثمانية الذين انتقلوا الى سمرقند للتتلمذ على السيد الشريف والسعد التفتازاني ، والذين كانوا يفتخرون بالأخذ عنهما ، ورأينا كيف سادت طريقة السيد في الشرح والتلخيص ووضع الحواشي في معظم أقطار الدولة الاسلامية من بعده .

ثم انتقل بنا الحديث عن آثار الشريف الجرجاني العلمية ، وتبين لنا من تناول آثاره كيف تنوعت ثقافته حتى شملت شتى فنون العلم ، بحيث لم يترك فنا من فنون العربية بدون أن يشارك فيه بالتصنيف حتى كادت مؤلفاته أن تكون شاملة ، كما اتسمت أيضا بالتنوع ، فلم يدخر وسعا في وضع الشروح أو الحواشي على كتب شيوخه أو معاصريه كما أنه لم يكتف بذلك بل صنف كتبا مستقلة ورسائل وأبحاث متنوعة ، منها ما هو بالعربية وما هو بالفارسية وقد تضمن الحديث عنها ترتيبها حسب فنونها .

ومن خلال مؤلفاته وآراء شيوخه فيه، وما ذكره المؤرخون عنه استطعنا أن ندرك قيمة منزلته العلمية وتفوقه، ورأينا كيف شهد له جانب كبير من العلماء والنقاد وغيرهم بالفضل والذكاء والمعرفة والتحقيق والتدقيق . وفي هذا المجال أوردت بعض النقد الموجه للسيد الشريف وحاولت مناقشة ذلك وتبرير هذا النقد .

ولما كانت العلاقة بين السيد والتفتازاني لم تقف عند حد المعاصرة فقط بل

تعدت ذلك الى ما هو أكبر من تلك العلاقة ، حيث تربى السيد على كتب التفتازاني كما يذكر المؤرخون ثم أخذ يناقشه فيما بعد حتى أدى الأمر الى منافسته في الصدارة وقد اقتضاني ذلك أن أعرض بشيء من التفصيل لتلك العلاقة بينهما وكيفية اتصال السيد بسعد الدين واتصالهما بتيمور ، وما حدث لهما في بلاطه من تقديم تيمور للسيد .

وقد تبين لنا أن هذا التقديم قد أثار في نفس السيد الرغبة في أن يثبت لمن حوله أن هذا التقديم لم يكن من أجل شرف النسب فقط كما ذكر تيمور بل هذا التقديم كان بسبب مكانته وقوة حجته ، مما دفعه الى أن يبارز التفتازاني في ميدان النقاش والمناظرة ، حيث تناظرا في اجتماع الاستعارة التبعية والتمثيلية ، ورأينا تغلب السيد على التفتازاني ، وأوردنا قول بعض العلماء أن حياء التفتازاني منعه من مواصلة النقاش ، وتبين لنا ان التفتازاني لم يعش بعد ذلك الا أياما ثم مات - رحمه الله - كمدا .

واقتضانا ذلك أن نتحدث عن آثار تلك المباحثة بين العلماء وموقف كل منهم نحوها ورأينا أن جانبا منهم يؤيد التفتازاني والآخر يؤيد السيد الشريف ولكل منهم حجة في ذلك ، ثم ذكرت ما كتب من رسائل أو مصنفات عن المناظرة ثم انتهيت الى القول بأن الخلاف في تلك المباحثة كان واقعا حول كيفية التركيب ، وهل يقتضي التركيب ذكر جميع الأجزاء المركب منها ؟ أو يكفي أن يذكر البعض ويقدر البعض الآخر ؟ هذا هو جوهر الخلاف بينهما على ما يبدو ، وقد عقبت على المباحثة بقولي: ان الأيام لا تدوم لأحد على حال ، فقد قيض الله للسيد الشريف من انتزع منه الصدارة في بلاط تيمور وهو محمد الجزري. ولما كان الكتاب المحقق هو شرح للقسم الثالث من مفتاح العلوم للسكاكي اقتضى ذلك أن يكون هناك فصل للحديث عن السكاكي والتعريف بكتابه وقد تحدثت في ذلك عن ثقافة السكاكي ووصف لكتاب المفتاح ، وما احتواه الكتاب من علوم .

ثم تحدثت عن شروح المفتاح وأبرز تلك الشروح ، وقد وضح من تلك الدراسة كثرة الشروح والتلخيصات والحواشي والتقريرات التي وضعت لكتاب المفتاح : وان هذا الكتاب قد فتح المجال للمؤلفين والشارحين الذين تناولوه ، لكي يوضحوا ما فيه من نكات

ومسائــــل ٠

وذكرت في هذا المجال سبب كثرة الشروح لهذا الكتاب كما ذكره الدكتور شوقــي ضيف ، وهو كثرة المسائل المنطقية والجدلية والغموض في اسلوب الكتاب ، ثم انتقــل بنا الحديث عن الكتاب المحقق وهو المصباح للسيد الشريف ، فعرفت الكتاب وبينت سبب تسميته والداعي الى وضعه ، ووثقت نسبة الكتاب لصاحبه ، وتحدثت عن نسخــه وعددها ، ثم ذكرت أهم الحواشي التي وضعت عليه ، وقد اتضح لنا أن هذا الكتاب قد فتح مجالا هو الآخر لوضع الحواشي والتقريرات والرسائل عليه حتى بلغ عدد هــذه الحواشي والتقريرات ما يزيد على العشرين ، وذلك لتأثر أصحاب الحواشي بالسيــد الشريف ، واتباع طريقته ، ثم تحدثت عن مصادر الكتاب وبينت أنها متنوعة وشاملة ، بحيث لم تقتصر على كتب البلاغة فقط بل تعدتها الى اللغة والأدب والنقد والنحــو والأصول والفلسفة والتفسير وغير ذلك ٠

وقد ظهر واضحا تنوع تلك المصادر وكثرتها، وذلك يرجع الى ثقافة السيد وقدرته على استيعاب شتى أنواع الثقافة ، وأنه سبق بشروح للمفتاح أفادته ووسعت مداركــه وكانت مادة خصبة له ينهل منها ،

كما اتضح أنه قد وضع الكتاب وهو في القمة العلمية وفي مركز الصدارة والريادة للعلماء ، وأنه كان في تلك المرحلة على قدر كبير من نضوج العبقرية وتوقد الذكـــاء وصفاء القريحة ، مما نوع مصادره وجعلها شاملة ٠

ووضح لنا أنه ركز في مصادره على كتب عبد القاهر والزمخشري والصحاح وقـــد أشار هو الى ذلك ٠

أما عن كتب التفتازاني والخطيب وبقية شروح المفتاح، فقد أخذ منها وناقش مـــا فيها من مسائل ، ولكن مع هذا لم يشر ولا اشارة واحدة الى هذا الأخذ. واقتضانـــي ذلك أن أبذل الجهد في الاطلاع على تلك الكتب لأقف على نقولات السيد منهـــا وقد أثبت كل ذلك مع التحقيــق ٠

وبعد ذلك انتقلت الى الحديث عن منهج السيد في كتابه المصباح فبينــت

منهجه الذى رسمه لنفسه من خلال المقدمة ثم وضعت ذلك فى نقاط محددة لأبين مدى التزامه فى كل نقطة منها ومدى خروجه على هذا الالتزام ·

ثم رأيت أن ما رسمه لنفسه لا يكفى فى بيان المنهج ، بل لا بد من دراسة للكتاب للوقوف على النقاط الأساسية لهذا المنهج من واقع الكتاب نفسه وقد تم لى ذلك بعون الله ، فبينت طريقته فى الشرح وكيفية ايراده للآراء ونقدها وقد وضح لنا أن نقده ، كان نقدا غير لائق فى أسلوبه حيث كان يصدره دائما بكلمة الزعم أو الوهم أو يذكر أن هذا الرأى ليس بشىء ، أو أنه لا يعتد به ولا يلتفت اليه ، وهذا يرجع الى المغالاة فى الاعتداد بآرائه هو والاعتزاز والفخر بما وصل اليه من ثقافة ·

وتحدثت أيضا عن استشهاده بآراء العلماء وطريقته فى ذلك مبينا أنه فى الغالب لا يشير الى الأخذ ، وبينت كيفية ذكره للاعتراضات التى وجهت الى السكاكى وايراد أجوبتها ثم مناقشة الاعتراض وأجوبته ليقوم بعد ذلك بترجيح ما يختار ، ثم بينت أن شواهده شملت القرآن الكريم والأحاديث النبوية والشعر والأمثال والأقوال النادرة ·

كما تحدثت عن طريقته فى تقرير بعض المسائل باتباع أسلوب التساؤل والاجابة على ذلك ، وعللت سبب ذلك بأنه لم يفعل هذا الا اذا شعر وتخيل بأن المقام محل للنقاش والتساؤل ، وكأنه أراد أن يقرر المسألة تقريرا شافيا بحيث لا يدع فى نفس القارىء ذرة من شك فيما ذكره ،

وذكرت أن من طريقته أيضا فى تقرير المسائل تحت قوله : ههنا بحث ،

وبينت أنه كثيرا ما وجه النقد للسكاكى ولعباراته واضعا مكانها ما هو الأولى ولما كان السيد متحاملا على سعد الدين بحيث تتبع كل ما ذكره من آراء ليبرز ما فيها من عيب ان وجده اقتضانى ذلك أن أتحدث عن هذا التتبع ·

وقررت فى هذا المقام ان السيد - مع تتبعه للتفتازانى ونقده - فقد استفاد منه ونقل من كتبه مسائل وضعها فى كتابه ولم يشر الى ذلك ·

ثم تحدثت عن أثر الفلسفة والمنطق فى أسلوبه وفى شرحه ، وذكرت فى هذا المجال أن السيد - وان أورد كثيرا من المسائل الفلسفية فى شرحه - فله بعض العذر

في ذلك ، لأن كتاب السكاكي نفسه لا يخلو من ذلك وهو شارح لهذا الكلام فلا محيد له عن الخوض في هذه المسائل ، كما قررت أنه كان لثقافته الفلسفية والكلامية أيضا أثرا في ايراده لهذه المسائل ، وقد ذكرت أيضا أنه مع خوضه في مسائل علم الكلام والفلسفة ، فان شرحه لم يخل من اللمسات الذوقية الكثيرة ، وانه كثيرا ما نادى بالذوق في شرحه وعاب على من لا ذوق عنده كما عاب على من لا فطنة له ولا فطرة سليمة .

وقد ضربت الأمثلة المؤيدة لكل ما تقدم من شرحه بايراد فقرات تدل على صدق ما ذكرت .

ولما وجدت في الشرح كلمات فارسية اقتضاني ذلك أن أتحدث عن أثر اللغة الفارسية على أسلوبه في الشرح .

ولما كانت شخصية السيد بارزة واضحة في شرحه فقد تحدثت عنها وبينت كيف وضحت تلك الشخصية في كتابه بحيث رأيناه شارحا وناقدا وموجها ومعللا ومؤيدا أو معارضا ضاربا الأمثلة على صدق ما يقول .

ثم تحدثت عن اعتزازه بنفسه وذهابه في الافتخار بعلمه وثقافته كل مذهب حتى أنه جرح كل شروح المفتاح التي سبقت شرحه ، مع أن شرحه نفسه مليء بمسائل عدة مما ذكرت في تلك الشروح التي انتقدها وعابها ، ثم تحدثت بعد ذلك عن النسخ التي اعتمدت عليها في التحقيق وبينت سبب اختياري لتلك النسخ .

ثم تحدثت عن المنهج الذي اتبعته في التحقيق ، وذكرت فيه أنني قمت باضافة أصل القسم الثالث من مفتاح العلوم ليكون متصدرا مع الشرح وفي متناول القارئ حتى تتم له الفائدة .

هذا وأرجو أن أكون فيما قمت به من عمل قد وفيت البحث حقه ، ولئن كان هناك بعض التقصير فهذا أول الطريق للسير في هذا الميدان العظيم والمبتدئ لا شك في حاجة الى التوجيه .

كما أن التحقيق والدراسة في حاجة الى مجهود كبير وطول عناء .

وهذا يدعوني لأن التمس العذر فيما قصرت فيه .

والله المستعان ، وله الحمد أولا وآخرا .

:: موضوعـــات القســم الأول ::

(الدراسة)

* * *